كتاب الجمهورية

رمضان في العالم الإسلامي

د. خالد العزب

كتاب الجمهورية

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
سمير رجب

رئيس التحرير التنفيذى
د . فتحى عبدالفتاح

ديسمبر ٢٠٠١

شركة الاعلانات الشرقية - م دار « الجمهورية » للصحافة

الإشراف الفنى :

مصطفى كامل

المتابعة :

صفوت عكاشة

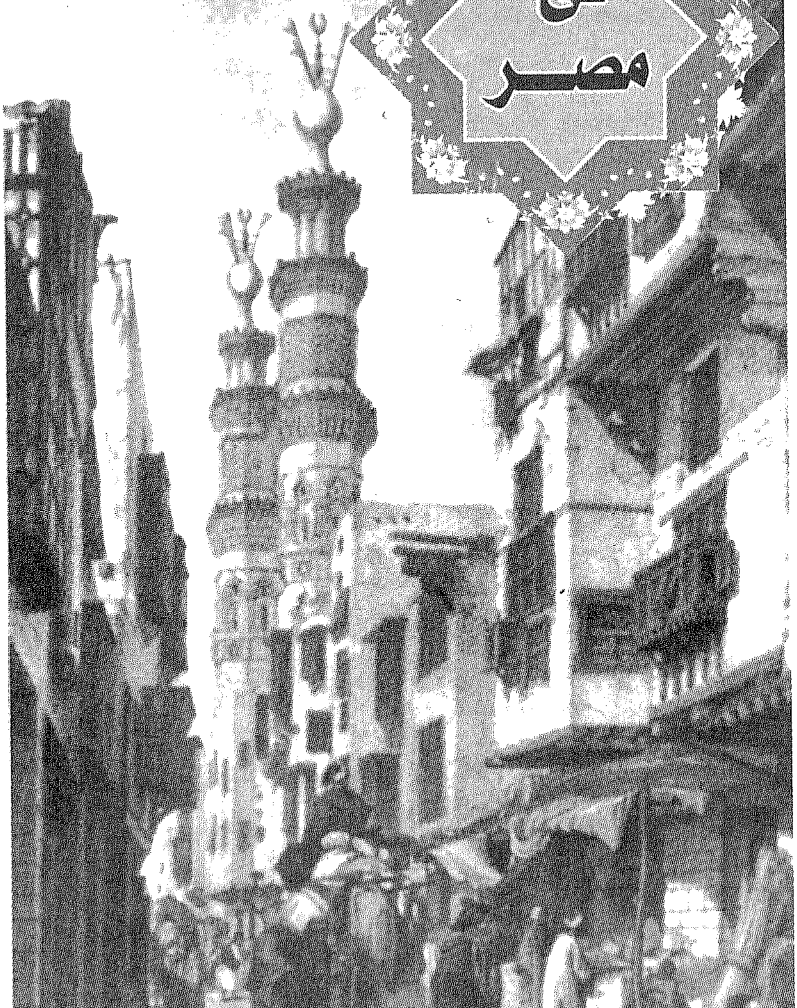
مقدمة

رمضان له عاداته وتقاليده فى الوطن العربى، ولكل بلد عربى ما يميزه عن غيره فى هذه العادات، ولذا فإن هذا الكتاب يقدم جولة بين أقطار الوطن العربى، تحمل بين طياتها فى بعض الأحيان رصد لعادات وتقاليد رمضان المعاصرة وما طرأ عليها من تحولات نتجت عن طغيان التلفاز على حياة الناس. أو عن مستحدثات العصر كالكهرباء. ولذا نرى العديد من البلاد العربية تحاول مقاومة زوال بعض العادات كالمسحراتى الذى كان يجول الشوارع قديماً، فنراه اليوم يزور كل المنازل من خلال التلفاز. أو عادات الأكل والتى نراها فى طبق اليوم الرمضانى فى التلفاز أيضا. ذلك الجهاز الذى أصبح هو محور حياة الناس فى هذا الشهر.

ولذا فقد حرصت أحياناً على الغوص فى كتب التراث مستخرجاً بعض الصور الرمضانية القديمة والتى كادت أن تندثر. وهذا ما يطرح تساؤلاً حول المستقبل، هل ينعزل الناس فى رمضان داخل منازلهم متناسين عادت وتقاليد رمضان أمام التلفاز؟ هذا الكتاب هو محاولة لتسجيل رمضان كما كان إلى وقت قريب؟ لعل الأجيال القادمة تحرص على إحياء بعضها!

دكتور/ **خالد عزب**

فى مصر



لرمضان ملامحه فى مصر التى لم تتغير منذ قرون، ورمضان فى العاصمة القاهرة له ملامحه أيضاً التى لم تتغير منذ أرَّخ لها المؤرخون. ففى يوم «الركبة» أو يوم ارتقاب هلال رمضان، يجتمع فى مصر فقهاء المدينة ووجوهها -بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان- بدار القاضى. ويقف على الباب نقيب المتعممين، وهو ذو شارة وهيئة حسنة، فإذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه قائلاً: «بسم الله.. سيدنا فلان»، فيسمع القاضى ومن معه، فيقومون له، ويجلسه النقيب فى موضع يليق به، فإذا تكاملوا هناك ركب القاضى، وركب من معه أجمعون، وتبعهم جميع من فى المدينة، وينتهون إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال عندهم، وقد فرش ذلك الموضع بالبُسط والفُرش، فينزل فيه القاضى ومن معه، فيرتقبون الهلال ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب.

وما أن تقرر بداية الشهر حتى تنشط المدينة ليلاً فتشعل الشموع والفوانيس فى الشوارع والأسواق والطرقات وبأيدى الناس، وتنتعش الحياة فى سوق الشماعين انتعاشاً كبيراً، فكل حوانيته مفتوحة حتى منتصف الليل، ولا تنقطع فيه الحركة أبداً، بين الراغبين فى الشراء أو النزهة.

كان هذا وصف إستقبال أهل مصر فى القديم لشهر رمضان كما صوَّره الرحالة المغربى ابن بطوطة.

ونسمع فى هذا الجانب وصفاً سجله الكاتب الإنجليزى (إدوارد لين بول) فى سنة ١٢٤٠هـ يقول فيه:

«إن العادة جرت فى مصر ليلة الرؤية بأن يسير موكب المحتسب ومعه مشايخ كثيرة من الحِرَفْ كالطحانين والخبازين والجزارين والزياتين وباعة الفاكهة مع غَيرهم تصحبهم فرق الموسيقى وجماعة من الجُند من القلعة إلى بيت القاضى وينتظرون من يشاهدون الهلال، وإن الطرق لتزدحم ازدحاماً شديداً بهم وبالحشود الذين يتدافعون بالمناكب لمشاهدتهم، ويتقدم الجنود ممن يحملون المشاعل، وفى عودة الموكب يتقدمه الجند وأتباعهم ثم المحتسب، وعند سماع خبر الرؤية يعود بعض الجُند إلى القلعة ويطوف الباقون فى أحياء القاهرة وهم يرفعون الصوت قائلين: «يا أمة خير الأنام، صيام صِيام»، فإذا لم يظهر الهلال ولم تثبت الرؤية قالوا: «فطار فطار».

ويؤكد هذا القول نص آخر يرجع إلى اكثر من مائة عام نشرته صحيفة الفلاح تصف فيه طبيعة إستقبال شهر رمضان من مبنى محافظة القاهرة ويقول النص:

«وأخذ بعض أرباب الحرف يفدون إليها طائفة بعد أخرى، فلما اكتمل الجميع توجهوا بنظام واحتفال عظيمين يحتاطهم فوارس البوليس ومشاتهم ويتخللهم بعض العساكر، ويصحبهم المختص لاحتفال الرؤية، مارين بشارع محمد على، فالحلمية، فسوق السروجية، فالغورية، حتى وصلوا ميدان المحكمة الشرعية لانتظار

اثبات رؤية الهلال، وكان حاضراً شيخ الإسلام، وقاضى أفندى وكثير من مستخدمى المحكمة؛ فتقدم إلى حضرة شيخ الإسلام أشخاص لتأدية الشهادة أمامه؛ فردهم ولم يقبل إلا بشهادة اثنين: احدهما الميقاتى بالجامع الحسينى، والثانى أحد كتبة المحكمة فقال الأول، انه رآه بعد الغروب، والآخر رآه من شباك المحكمة عندئذ حكم الشيخ ببداية رمضان المبارك وأرسل الخبر إلى المعية السنية، ومنها إلى القلعة، فاطلعت المدافع عند الساعة الثالثة ايذانا ببدء شهر الصيام، فازدانت المساجد بالمصابيح، وتكللت المآذن بالأنوار، وضجت الأهالى بالسرور، وهرع مأمور الحكومة الذوات والأعيان إلى سراى عابدين لتأدية رسوم التهنئة إلى جناب الوالى».

وفى الحقيقة إن لرمضان مذاقاً خاصاً لدى المصريين، وعادات ارتبطت به، وعاشت وقاومت الزمن، وحافظت على نفسها من الإندثار، مثل حرص الناس على التجمع حول موائد الافطار والسحور وقضاء الوقت بينهما فى السمر والعبادة والحرص على تلاوة القرآن الكريم كاملاً فى أثناء هذا الشهر وأداء الصلوات وصلاة التراويح فى المساجد.

وترتبط برمضان فى مصر أنواع من المأكولات والحلوى كالكنافة والقطايف ولقمة القاضى، كما يحرص المصريون -حتى هذه الأيام- على صنع الكعك وخبزه فى منازلهم وفى الأفران فى الأسبوع الأخير من رمضان، فى الوقت نفسه يخرج الرجال لأداء صلاة العشاء والتراويح.

ومن المظاهر الجميلة المرتبطة بشهر رمضان حتى هذه الأيام، أهتمام القادرين بمد موائد الإفطار فى الشوارع والطرقات وأمام المنازل والحوانيت لإطعام أى فقير أو غريب أو عابر سبيل لحظة أنطلاق مدفع الافطار.

وفى وقتنا الحاضر اختلفت، أو قل تطورت مظاهر شهر رمضان فى مصر؛ فبعد الإفطار ينشغل العامة بمشاهدة برامج التلفاز التى تبتعد كل البُعد عن حكمة هذا الشهر وقيمته الروحية باعتباره شهر أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر.

هذا بالنسبة لليل العامة فى رمضان، أما ليل المثقفين فى هذا الشهر، فيختلف بعض الشىء، فكثير من الناشرين يحرصون على إقامة موائد الافطار فى منازلهم أو فى الفنادق للمؤلفين وعلماء الدين والشعراء ورجال الإعلام، فهى فرصة للقاء فى مناسبة كريمة، وعادة ما يعقب الإفطار جلسات فكر وعلم وشعر ومناقشة لقضايا الساعة.

وهناك سهرات رمضان الثقافية التى تقيمها الهيئات الثقافية فى مصر كهيئة قصور الثقافة أو الهيئة المصرية العامة للكتاب. ولكن هذه السهرات تغلب عليها النواحى الفنية والمناقشات الثقافية العامة والأمسيات الشعرية أكثر مما يغلب عليها الجانب الدينى.

ويبقى لشهر رمضان طابعه الخاص فى مصر حتى الآن، ففيه يمارس المصريون حياتهم الاجتماعية التى كادت تنتهى فيتزاورون ويتبادلون الدعوات على الإفطار ويتسامرون فى ليالى هذا الشهرويزداد

الناس قرباً بعضهم من بعض فى هذا الشهر فى الريف وفى الأحياء الشعبية، خاصة عندما يلتقى الرجال والشباب فى صلاة الجماعة فى مسجد الحى. وتستطيع أن تقول إن وجدان المصريين يربط بين هذا الشهر وبعض المظاهر، مثل صوت الشيخ محمد رفعت وهو يرفع آذان المغرب، وصوت النقشبندى وهو ينشد التواشيح والأدعية. والمسحراتى الذى يروى حسن عبدالوهاب فى كتابه (رمضان) بعض الأقوال الشهيرة للمسحراتى ومنها قوله:

يا غفلان وحد ربَّك — وبالتقى عمَّر قلبك
ما يوم تقلق على رزقك — دا ربنا عالم بالحال
يا رب قدَّرنا على الصوم — واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا يارب باللحم المفروم — أحسن يا رب ماليش أسنان

● وقوله أيضا:

أنا المسحر جيت أطبل لكم — حافظ أساميكم صغير مع كبير
فى كل ليلة لى على كل بيت — اللى من الذمة خرج للفقير
ولى عدية عندكم كل عيد — الكعك وكفوف الشريك والفطير
آجى أصحيكم وأنتم نيام — وقت السحر عن كل خير غافلين

● فى رشيد

كان ولايزال شهر رمضان المبارك فى رشيد أعظم شهور السنة إجلالا وبركة -فيه تلبس رشيد ثوبا من الأفراح والهبجة وتحيا ليال من السرور والسعادة والنور ويغمر كل بيت فيها شعور من الإشراق

والرحمة والخير.. ونسمع فى كل مكان دوى للقرآن كالنحل. وتفتح بيوت الأعيان للفقراء تمد فيها الموائد وتعطى فيها العوائد.. وتفتح رشيد أبواب تجارتها قبيل الظهر وتمتلىء المساجد على كثرتها فى صلاة العصر ويلقى العلماء دروس الوعظ والارشاد حتى قبيل المغرب والمساجد على كثرتها تملأ بالرواد شيباً وشباناً فى مظهر رائع.. وتعج رشيد بالرائح والغادى. كل يُعد طعام الافطار وأبرزه فى رشيد الفول المدمس بالدقة الرشيدى والسمك واللحوم والكنافة والقطائف، حتى إذا رفعت الراية على رأس مئذنة مسجد زغلول كسابق الزمان أذن المؤذنون على جميع المساجد وأنطلقت صفارات مضارب الأرز فى كل جهات رشيد بصوتها العالى الذى يُسمع فى أنحاء المدينة وما جاورها إيذانا بالإفطار.. وفى هذه اللحظات لا تكاد ترى أحدا يمشى فى الشوارع أو يجوب الطرقات؛ فإن الناس جميعاً يكونون قد جلسوا مع عائلاتهم وأولادهم أستعداداً للإفطار.

وتسهر رشيد ليلها كله فى الزيارات يتبادلونها من بيت إلى بيت ومن مجلس علم إلى مجلس استماع للقرآن. المحلات التجارية كلها ورجال الأعمال والمعمار قد يعملون بالليل. وبالإجماع فإن رشيد كلها تبدو قطعة من النور وسرادقاً للأفراح.

حتى إذا أنتصف الليل صعد المؤذنون على رؤوس المآذن يطلقون بأصوات جميلة وعبارات مؤمنة الآذان الأول وكانت رشيد رجالها ونسائها يفتحون نوافذ منازلهم ليستمعوا إلى الأصوات الرخيمة

التى تنطلق فى جوف الليل لله تسبح بحمده، فما أعذب التغريد بالتوحيد. وبينما المؤذنون ينشدون ويبتهلون نسمع فى شوارع رشيد أناشيد أخرى يلقيها المسحراتى بين البيوت من الآذن الأول إلى الآذان الثانى، ومن أقدم المسحراتية فى رشيد شحاته البياضة وكان يعمل صياداً، وشعبان شعلة وكان حداداً، وعلى النحراوى وكان حلوانياً.. والأخير كان آخر عهد رشيد بالمسحراتى وتوفى عام ١٩٢٤م.

ويهرع بعد ذلك المصلون إلى المساجد القريبة وأكثرهم إلى مسجد المحلى قبل آذان الفجر، وترى فى المساجد أهل رشيد جلوساً فى ورع وإنصات إلى تلاوة القرآن الكريم ويمر عليهم ساقى الماء فى كل آذان -حتى إذا أذن المؤذن أكتمل عددهم بالتمام وأقيمت الصلاة وانصرفوا فى سكون وأمان.

ومما كان يلفت النظر فى رشيد أن جميع المطاعم والقهاوى لا تفتح أبوابها فى نهار رمضان، مما لا يتيح فرصة لأى شخص أن يفطر فى رمضان، وإذا جاهر انسان بالإفطار فى رمضان فإن الأطفال يلاحقونه بقولهم:

يا فاطر رمضان يا خاسر دينك- النار الحمرا تقطع مصارينك. كما نشاهد بعض المساجد تقدم للفقراء عند الإفطار طعاماً يبعث به ذوى اليسار كعادتهم فى شهر رمضان المبارك، وكان فى قسم الشرطة

برشيد مدفعاً ينطلق عند آذان المغرب إيذانا بالإفطار، وكذا فى موعد السحور، وكذا فى الأعياد؛ فكان له بهجة وفرحة.

تلك صورة رمضانية نشاهدها من خلال تاريخ مدينة مصرية، اشتهرت بتراثها المعمارى.

● فى مطوبس

رمضان فى مطوبس تلك المدينة الصغيرة التى تقع إلى الجنوب من رشيد على الشاطىء الشرقى للنيل، له طابع خاص، فمنذ منتصف شهر شعبان يدرك الزائر لهذه المدينة الهادئة أن انقلاباً قد بدأ يحدث فى حياتها، فأسواقها تستعد لاستقبال الشهر، ومحلات الحلوى تلغى أنشطتها لتتهيء لإعداد معدات صناعة الكنافة والقطايف أكثر الحلويات التى يُقبل على شرائها أهالى مطوبس والقرى المجاورة لها، وقد كانت منذ سنوات قليلة تصنع بطريقة يدوية، أما الآن فقد شاعت صناعتها بماكينات آلية. وتدرك مدى أهمية هذين الصنفين من تراجع حركة بيع الهريسة أو هريسة مطوبس، ذلك الصنف من الحلويات الذى أشتهرت به فى مصر، وقبل بداية شهر رمضان بيومين تزدحم شوارع مطوبس بالوافدين أزدحاماً شديداً حيث يفد إلى المدينة أهالى ٥٠ قرية مجاورة لها، وذلك للتبضيع ببضائع شهر رمضان من زبيب وجوز الهند وتمر وتين وغيرها من البضائع، وتعلن النساء فى مطوبس حالة الطوارىء فى المنازل حيث يقمن بإعداد

أطعمـة خاصة برمضـان على رأسها نوع من الخبز يعرف بالسـخان وهو يُصنع من الدقـيق العالى الجودة والسـمن البلدى واللبن ويُرش وجهه بالبيض والسمسم.

وحينمـا يعلن المفتى عـبر التلفـاز والإذاعة رؤية هلال رمـضان وبدأ الشـهر ترى النـاس فى شوارع المدينة يهـنىء بعضـهم بعـضاً بمقـدم الشهر، وكل واحد منهم يحـمل فى يده الفول المدمس، تلك الوجبة المفـضلة على مـائدة السـحـور لدى أهل المـدينة، والتى يعـدون إلى جوارهـا الأرز باللبن، وقد كـان أهل المدينة قديما يتـسحـرون يومـياً بوجبـة غذائية تُعرف بالدس وهى تـتكون من الأرز والسمن البلدى والزبيب واللحم أو الطيور المذبوحة وتُعـد فى إناء خاص بها يُعرف بالبرام وهو يصنع من الفخار المزجج باطنه. الآن انتقلت هذه الوجبة من السحور لتصبح أحدى الوجبات الرئيسية على مائدة الإفطار فى مطوبس.

وكل يوم بعـد آذان العصـر يتـجمع أطفـال المدينة حـول المسجـدين الرئيسيين بها وهـما مسجد عامر ومسجد عبدالوهاب للعب، وعندما يؤذن لصلاة المغـرب ينطلق الأطفال نحو منازلهم مكبـرين ومهللين يعلنون فـرحتهم بحلـول وقت الإفطار، وبعد الإفطار كـان الأطفال منذ سنوات يجوبون شوارع المدينة حاملين الفوانيس ينشدون أناشيد رمـضـــان التى ورثوها عن آبائـهم وأجـدادهم ويقـــرعـون الأبواب ليـحصلوا علـى نقود أو حلوى من أهل كـل بيت، ويخرج الرجـال

بعد الإفطار إلى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح، وفى العشر الأواخر من رمضان تُعد النساء حلوى العيد فى المنازل، بينما يستعد الرجال لإخراج زكاة عيد الفطر، وقبيل العيد بأيام تزدحم المدينة بالقادمين إليها لشراء ملابس العيد وحاجاته، وبمقدم العيد ترى أهل المدينة جميعاً يخرجون إلى قناطر أدفينا رجالاً ونساءً وأطفالا، وذلك لأداء صلاة العيد فى الخلاء سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعند اقترابهم من المصلى يوزع شباب المدينة على الأطفال هدايا العيد، ويعطرون الرجال، وبعد الصلاة وسماع خطبة العيد، يهنىء أهل المدينة بعضهم البعض ويعودون إلى منازلهم للافطار وفى عودتهم تدرك أن المدينة التى شارف سكانها على ٦٠ ألف؛ قد خرجت كلها للصلاة فهم اعتادوا على ذلك منذ سنوات ليست ببعيدة.

فى ليبيا

طرابلس فى القرن الماضى نرى فيـها صورة رمضانية خـاصة، تتواءم مع بيئتها، ومس توللى قرينة قنصل بريطانيا فى طرابلس سجلت فى مذكراتها مشاهد رمـضانية عديدة، تلك المذكرات التى رصدت أهم حوادث طرابلس السـياسية والاجـتماعية فى عـام ١٨٧٣م تذكر فى هذا العام ان أشرف صوم شهر رمضان العظيم على النهاية، فقد كان مخيفا ومـرعبا بحرارته القاسية الشديدة (كـان رمضان فى هذا العام فى شهر يوليو) فى مثل هذا الفصل من السنة. أطلقت مدفعية القلعة النار اعـلانا بانتـهـاء الـصـوم ورفـعت الأعـلام على كل المسـاجـد والحصون. وكانت اشارة بدء الافطار إطلاقة من مدفع كبير فى قلعة الباشا.

ولا يتـجـاوز الصـوم ثلاثين يومـاً إذا لـم تتم رؤية الهـلال. ويحـرم المسلمـون الأكل والشرب طوال شـهر رمـضان من شروق الـشمس حتى غروبها. وقبيل آذان الفجـر يتجول حرس خاص فى كل أنحاء المدينة يوقظ النيـام لإعداد السحـور قبل طلوع الفجـر. يحدث ذلك الحرس ضجيجا قويا عـاليا إذ يحمل الصحون والعلب المصنوعة من التنك وفى داخلها قطع من الحديد المتحركة.

تحل هذه الضوضـاء الصاخبـة محل دقات الأجـراس، غير المعـروفة هنا، والتى لا يُسـمح بها الدين الإسـلامى. يعلن آذان الفـجر مـوعد الصلاة الأولى من الصلوات الخمس، فيؤذن المؤذن خمس مرات فى

غضون أربع وعشرين ساعة، من على منابر المساجد، يدور حول المنارة وبيده راية مكة. ويحافظ المسلمون الأتقياء الورعون محافظة دقيقة على صوم شهر رمضان. وتدلل على ذلك، بأنه قد هبت قبل ثلاثة أيام مضت عاصفة رملية جعلت الجو حاراً ملتهبا، يهدد بالاختناق، والرياح فيها شديدة الحرارة كاللهبان المندلعة من فوهة فرن، ومع ان البعض من الناس كان يرش الماء على الوجوه، ولم يحاول شخص واحد أن يبلل شفتيه بقطرة واحدة من الماء. هذه هى كل المرطبات التى يحصلون عليها فى أشد الحرارة قساوة وعنفا، إلا أنهم يقصدون المدينة عند الغروب، وتفتح الأبواب الخارجية للقنصليات فى ساعة الافطار، فيسير كل خمسة أشخاص أو ستة معاً ليشربوا جرعة من الماء فى أول لحظة يستطيعون الحصول عليه.

ويستعد الخدم من البربر، يدفعهم شعورهم الدينى والاجتماعى، منتظرين لقاءهم فى منتصف الطريق بأوعية مملوءة بالماء العذب البارد، حتى أن عدداً كبيراً منهم قد أعياه التعب وأضناه العطش والجوع، بحيث لا تسمع أصواتهم عندما يطلبون جرعة من الماء، وليسوا قادرين على الوقوف وشرب الماء، بل ان البعض منهم قد وقع على الأرض مغشياً عليه فى المدخل (تقصد مدخل القنصلية) قبل أن يناوله الخادم جرعة ماء ليبل بها ريقه.

وعن مظاهر العيد فى طرابلس تذكر أن أهلها يترقبون بلهفة وشوق

شهر شوال بعد صوم ثلاثين يوماً، وخاصة فى هذا الحر الهجير القاسى جداً، حتى أصبح مثلا فى لغتهم، عندما يرغبون بشىء بكل حرارة وشوق أن يقولوا مثلما يتمنى الصائم هلال شهر شوال.

فى صباح اليوم الأول من شهر شوال تطلق مدافع القلعة وكل المدفعية المحيطة بالمدينة معلنة بداية عيد رمضان الذى يستمر ثلاثة أيام فى المدينة وسبعة أيام فى الريف. يقدم الناس فى العيد على كل أنواع الضوضاء والهياج الذى وكأنه يبدد ويعوّض عما قاسوه طوال شهر الصيام.

يرتدى الناس ملابس من مختلف الأشكال والألوان، ومن كل الأنواع الغريبة العجيبة، ويخرجون للرقص واللعب، وتربط الأراجيح بين عجلتين عاليتين فى الشوارع، حيث يتأرجح الناس بعد دفع مقدار من المال. يتوقف الصيادون عن صيد الأسماك خلال أيام هذا العيد ولا يمكن الحصول عليه لأن قوارب الصيد تحمل الناس للنزهة حول الميناء.

وفى كل يوم من أيام العيد، تضاء المساجد بالأنوار، فلم تكن المدينة منورة، بل بالعكس كانت مظلمة كلياً، يبدو المنظر البهيج، ويتلألأ النور الساطع من المصابيح حول منارة عالية فى كل مسجد.

وتنزهنا فى أمسية من أماسى عيد رمضان حتى الساعة الثانية عشرة فكانت كل جهات السوق مكتظة بالناس الذين يلبسون الملابس

الجيدة. وكانت روائح العطور من العنبـر وأزهار البرتقال والياسمين تنبعث بقوة غيـر مقبولة. وكان السوق مضـاء بالمصابيح الكثيرة التى أحالت ظلمته نهارا.

تلك كـانـت مـشـاهدات مس تولـلى فى رمـضـان بطـرابلس وهى مشاهدات تغيـرت كثيرا اليوم بفعل التطور الحـضارى الذى شهدته المدينة خـلال السنوات الماضيـة، وهـو تطور يقـضى على العـادات والتقاليد الرمضانية الراسخة فى المدينة طوال سنوات طويلة.

في تونس

التونسيون يحسون بمقدم شهر رمضان قبل شهر على الأقل قبل أن يهل هلاله.. هذا الاحساس يتأتى من الحركية التى تشهدها المغازات والمتاجر التى تشهد إقبالا كبيرا من ربات البيوت اللاتى يعمدن قبل فترة تزيد على الشهر من حلول رمضان إلى شراء العديد من المواد الغذائية التى يكثر استهلاكها وترتفع أسعارها من جراء كثرة الإقبال عليها.

هذه العادة التى قد تختص بها نساء تونس دون غيرهن تتمثل فى تخزين بعض المواد الاستهلاكية غير القابلة للتعفن أو التلف وتهدف إلى التقليل من مصاريف شهر رمضان التى تتضاعف لدى كل العائلات التونسية بتضاعف الاستهلاك أو بالأحرى تضاعف أنواع الأطعمة استجابة لشهوات الصائمين خاصة الرجال منهم.

وتسمى هذه العادة التونسية الفريدة «عولة رمضان» وعادة ما تكون مشفوعة بشراء عديد من أنواع الأوانى والأطباق. والسلطات التجارية والاقتصادية بتونس تستعد أيضاً لشهر رمضان قبل حلوله بمدة طويلة فتجمع المتدخلين فى تزويد الأسواق وتموينها وتدرس معهم حاجيات السوق التى تشهد ارتفاعا ملحوظا فى الاستهلاك بغية المحافظة على المعادلة بين العرض والطلب والتحكم بالتالى فى الأسعار.

وفى تونس تكثر الأحياء الشعبية التى رسخت قيمتها التراثية والتاريخية فى الأذهان، وفى مقدمتها المنطقة التى تضم جامع الزيتونة، إذ يمثل هذا الجامع إضافة إلى الأثر الدينى والروحى والعلمى نفحات روحية حيث يلتقى الصائمون فى رمضان فيه لأداء الصلوات وتلقى دروس العلم.

وإلى جانب هذا فإن هناك العديد من المقاهى الشعبية التقليدية ذات الطابع التراثى، تنتعش فى شهر رمضان ويبدأ عملها من وقت الافطار إلى وقت السحور حيث تنتشر كراسيها وموائدها على الرصيف العام.. ويهرع إليها كثير من روادها من الكبار والصغار.

وفى هذا المجال نجد المقاهى المسماة (كافى شانته) حيث تتحول إلى أماكن للتسلية والترفيه، وقديما كانت هذه المقاهى تحتضن حفلات «القاراقوز» التى يهتم بها الكبار والصغار، لكن مع مرور الأيام اختفى القاراقوز لتظهر حفلات الطرب والفكاهة التى تحييها نخبة من أهل البلد.

أما فى جانب الأكلات الشعبية المشهورة فى تونس فأول أكلة تعلن عن بداية هذا الشهر المبارك هى أكلة السحور، وقد اعتاد التونسيون بصفة عامة أن يأكلوا خلال السحور المسفوف وهو نوع من الكسكسى، لكنه يختلف فى إعداده عن الكسكسى

العـادى حـيث لا مـرق ولا خـضـار ولا لحم بل كـسكسى حلو يخلط بالسكر والحليب وهناك من يضـيف إليه الزبيب أو التـمر وهذه الأكلة لا تظهر إلا فى هذا الشهر وفى السحور بالذات.

أما مائدة الافطار فـإنها تزخر بأنواع الأكل فبالإضافـة إلى التمر والحليب نجد «الشوربة» وهى من السوائل الدافئة الإجبارية على طاولة الافطار وهى أنواع (الفريك- الشعيـر- لسان العصفور- الملالم- النجـوم) ثم (البريك) وهـى ورقة من العـجين تلف مع بيضة وبعض الـلحم المفروم أو التونة والبقدونـس وأيضا البصل والبطاطس.. وقل ونـدر ألا تجد الـبـريك على المائدة التـونسيـة خلال شهـر رمضان، وهناك أيضا (طاجين المسلـوقة) وهى أيضا من الأكلات الرمضانية وهى من فصيلـة البريك، إذ تعتمد تقريبا على نفس المواد الأولية المكونة للبـريك، إلا ان اعداد هذا الطبق وطهيـه يختلف عن البـريك حيث توضع مـجموعـة من ورقات العجين ثم يوضع فوقها خليط اللحم والبيض والجبن والبطاطس ثم يغطى بمجـمـوعة من ورق البـريك ثم يوضـع الخليط المذكـور آنفا ثم يغطى بورق البـريك وهكذا تعاد العمليـة عدة مرات إلى أن يأخـذ الشكل والحـجم اللذين تريدهمـا ربة البـيت ثم يدخل بعد ذلك الفرن.

وبطبـيعـة الحـال فإن المائدة تشـتمـل على عدة أنواع أخـرى من

الأكـلات المتـداولة فى سـائر الأيام كـالمـرق بأنواعـه، والمكرونة وغـيـرها وهى أنواع لا يخـتص بها شـهـر رمـضان كـالأكـلات السابـقة الذكر. ومـن عادات هذا الشـهر الكريم أيضـا الأكلات الحلوة التى تقدم خـلال السهرة والتـى من أبرزها «البوزة» وهى تُعد أساسا من دقيق الذرة وحب السمسم وبعض الفواكه الجافة وكذلك الكريمة والقطائف والمخارة.

فى الجزائر

يبدأ الاستعداد منذ أواخر شهر شعبان حيث تتزين الطرقات والمحلات والمساجد وتكثر الحركة بشكل غير عادى حتى إنك لتسمع أحاديث الناس فى الطرقات عن ليلة الشك وهلال رمضان.

ويسمى اليوم التاسع والعشرون فى الجزائر.. بيوم «القرش» ولرمضان منزلة كريمة فى نفوس الجزائريين، وإنهم ليحملون له من التكريم ما قد يفوق كل تصور.

ولعل الذى يجعل الجزائريين يستقبلون هذا الشهر بما هو أهل له من التجلة، أنهم فى أصلهم مسلمون جميعا (على الرغم أن دعاة التنصير، من الفرنسيين المستعمرين، كانوا استطاعوا أن ينصروا بعض العائلات فى بلاد القبائل، ولكنهم، بنعمة الله، لم يفلحوا فى تجاوز ذلك قط) فتغلق جميع المقاهى والمطاعم نهاراً بحيث إذا كان هناك أجنبى لا يستطيع أن يتناول الطعام فى المطاعم إلا بعد الغروب.

ويتغير نظام الحياة الاجتماعية، إن لم نقل الحياة الاقتصادية أيضا، رأسا على عقب فى الجزائر، أثناء شهر رمضان، بحيث تتغير مواقيت العمل صباحًا وزوالاً، وتغدو كل الإدارات والمؤسسات العمومية والخصوصية تداوم من التاسعة صباحا إلى الرابعة بعد الزوال. ومن المظاهر التى تشعر الصائم فى الجزئر أنها تغيرت حال الأسواق التى تنفق تجارتها، وتكثر سلعها، ولكن تغلو حتما

أسعارها، وذلك لاشتهار معظم الجزائريين بالإسراف الشديد فى النفقة فى هذا الشهر.

● عادات كريمة

تأسست فى الجزائر فى السنوات الأخيرة جمعيات خيرية من غاياتها أنها تبذل قصارى جهدها، أثناء شهر رمضان، فى الانفاق على الفقراء والغرباء، فتراها تهيىء لهم إفطارا متوازنا، وسحورا لذيذا متنوعًا، إلى حد أن بعض الظرفاء من الموسرين زعم لأصحابه بأن نفسه تكاد تحمله على الذهاب إلى الأكل مع أولئك فى مطاعمهم الرمضانية!

ومن العادات الطيبة أيضا تكاثر الزيارات، وصلة الرحم بين الأصدقاء والأقرباء والجيران، وميل الناس ميلا شديدا إلى اكرام الضيف، والرغبة الحارة إلى دعوته إلى مائدة الافطار. فالجزائريون يتبادلون الزيارات فى شهر رمضان، وفى الأعياد طبعاً، ما لا يتبادلونه فى أى شهر آخر من شهور السنة. كما أنهم لا يكونون أكرم مما يكونون فى هذا الشهر.

يختلف الناس فى الجزائر اختلافا شديدا فى كيفية تناول السحور وميقاته أيضا. فهناك من لا يتسحر إطلاقا، بل تراه ينام مبكرا نسبيا (عند منتصف الليل تقريبا) فيقتصر على تناول كوب من اللبن وفاكهة قبيل الإخلاد إلى الكرى. وهناك من يسهر حتى الساعة

الثانية صباحا ثم يتناول سحوره الذى يتألف -غالبا- من أكلة السفوف اللذيذة (والسفوف استعمال فصيح ذكره السيوطى فى «المزهر»). والسفوف هو كل ما يستف، أى يؤكل يابساً من غير مرق، ثم أطلق فى الجزائر والمغرب على الكسكسى المحضر من السميد الرفيع، والذى يلقى عليه الزبد الطرى وهو ساخن ليذوب عليه وفيه، ثم يضاف إليه السكر ودقيق القرفة والبيض والزبيب مع اللبن، ثم الفاكهة.

وثالث النماذج أن هناك كثيرا من الناس فى الجزائر، خصوصا الفلاحين والعمال والمحرومين، ينامون بعد صلاة العشاء مباشرة ولا ينهضون إلا لدى السحر لتناول طعام السحور. وترى هؤلاء قد لا ينامون من بعد ذلك إطلاقا، بل انك تراهم يصلون الفجر، ثم ينطلقون إلى أعمالهم اليومية، خصوصا إن كانوا فلاحين مجدين، أو كانوا على سفر.

وكان الفلاحون والقرويون، عامة، على عهد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر، وفى غياب وسائل الإيقاظ كالساعات والمنبهات والمذاييع الخاصة، يُفيقون على دقات الطبول بحيث كان فقيه القرية وإمامها يعمد إلى ضرب الطبل من على شرفة رابية عالية، أو على قمة جبل شامخ، بحسب موقع القرية ونظام تضاريسها الجغرافية، فكنت ترى الأنوار تضاء فى دور القرية، وربما القرى المجاورة لها، الدار تلو الأخرى.

ومن الاحتفالات الرمضانية فى الجزائر صيام الطفل يومه الأول إذ يعتبرون ذلك مناسبة عـائلية فنظر كل العائلة مشدود نحوه منذ أن يستيقظ فى الـصباح وهو يصبر نفسه والنوم يغلـبه أحيانا فى حين يظل يتظاهر هو بحيـويته ولا يعترف بألم الجـوع والعطش إلا بعد الافطار.

يشرع الآبـاء والأمهات، ابتـداءً من الثلث الأخـير من رمـضان فى السعى إلى الأسواق لـشراء الملابس لأبنائهم وبناتهـم، وتكون هذه الملابس مـتلائمـة مع المنزلة الاجـتـماعـية لكل أسـرة. وقـد يشتـد التنافس بين الأسـر فى هـذا المظهـر الاجـتـمـاعى الذى لا صلة له بالدين، حتى قـد تضطر بعض الأمهات إلى بـيع شىء من حُليهن لتبيض الوجه أمام بعض الجارات.

ويستـقبل النسـاء عـادة فى الجـزائر هلالى رمـضان وعـيـد الفطر بالزغـاريد، وينتـشـر الأطفـال ضـاجين بأصـواتهم فى كل مكان، وتنطلق ألسـنة المتـقين بالذكـر والتكبـيـر والتـهليل والصـلاة على الرسول الكريم، وتمتلىء القلوب بالخير والمحبة والتفاؤل والأمل.

فى
المغرب

إذا كان المغرب قد عرف لعدة قرون باستعصائه على أية محاولة انقلابية على كافة الأصعدة سياسية كانت أو ثقافية أو اجتماعية، حيث ظل على امتداد عمره الضارب فى عمق التاريخ بمثابة المثل فى التوازن والاعتدال والتلاحم المتين بين الأصالة والمعاصرة فى مختلف مناحى حياته واختياراته. فإن المحاولة الانقلابية التى تتكرر سنويا وبنجاح منقطع النظير تبرز أولى مؤشراتها فى منتصف شهر شعبان حيث يكتشف الزائر ان ثلاثة أرباع الذين يلتقى بهم فى حالة إمساك عن الطعام والشراب والشهوات الدنيوية تقرباً إلى الله وطلبا لأجره ومغفرته.

ويستتبع هذه المؤشرات البلاغ رقم واحد المتمثل فى الاستعدادات واسعة النطاق للإطاحة بكل عادات وتقاليد الحياة اليومية لسنة كاملة من عمر الزمان، مع مطلع شهر رمضان الذى يطبع الحياة المغربية بروحانية لا تقتصر على الإنسان وحده وانما تنعكس على كل شىء.

ومن المظاهر الأولية، تحول شوارع المدن الكبيرة والصغيرة والأحياء والازقة إلى أسواق تطرح معروضاتها على قارعة الطريق لتزويد المستهلك بالمواد الأولية لمأكولات ومشروبات رمضان التى تحرص ست البيت المدبرة على ان تكون «من صنع إيديها وحياة عينيها».

وهؤلاء التجار الذين يمكن اعتبارهم ظاهرة عشوائية تظهر مع منتصف شهر شعبان لتختفى مع نهاية شهر رمضان، يقول قدماء المغاربة أن بداياتهم -منذ عدة قرون- كانت بمدينة فاس العتيقة، وان روادهم الأوائل كانوا من الأقليات اليهودية الذين برعوا فى هذا النوع من

التجارة، حيث كان بعضهم يستأجر الفضاءات أمام المتاجر لبيع هذه الحاجيات التي تعد قاسما مشتركا للصوم فى المغرب كالحمص والتمر والنافع والعدس والسمسم واللوز والفول السوداني والجوز والزبيب والبهارات بمختلف أنواعها، ومع أن المتجر القابع وراءه يبيعها بالثمن الرسمي- المراقب من قبل محتسب الدولة- فإن ربة البيت الحصيفة تكتشف ان هناك درهما أو نصف درهم أقل من السعر الرسمي وهو لا ينعكس على مستوى الجودة وانما يتم خصمه من تكاليف العرض حيث يضحي تاجر الطريق العام بنصف الربح لضمان الرواج، ويقبل صاحب المتجر هذه المنافسة لكون منافسه لا يعرض كل الاحتياجات الضرورية لربة البيت وتبقى هناك مواد ضرورية وباهظة الثمن كالعسل والسمن والدقيق والزيت والسكر لا بد من انضمامها إلى السلة من المتجر. ان التبضع بحد ذاته هاجس كل إنسان فى كل زمان ومكان. والمغاربة الذين وصفهم ابن خلدون فى مقدمته بأنهم الاكثر فضولاً بمعنى الاكثر استجابة للاستمتاع بالتطلع إلى كل شيء، يتحولون إلى مجتمع استهلاكي من الدرجة الأولى لمواد استهلاكية يفوق استهلاكها لمدة شهر واحد مقادير استهلاك سنة بأكملها، خاصة ما يتعلق بالبروتينيات والسكريات والنشويات ومشتقاتها.

ويدخل الانقلاب الرمضاني حيز التنفيذ مع التوقيت الرمضاني لساعات العمل حيث تتحول من فترتين صباحية ومسائية. إلى فترة واحدة تبدأ فى التاسعة صباحا إلى الرابعة بعد الظهر، ومنذ مغادرة المكاتب والمصانع

والمعـامل، فإن واجـهـات الأسواق وشـوارعـها تكتظ بعـشـاق الفرجـة والوقوف المتأنى أمام الواجهات الزجاجية؛ فى حين ينصرف البعض إلى السوق الشعـبى الذى يجاور السوق المركزى فى كل مدينة مـغربية وإلى جـانب البضـائع المكدسة فى المتـاجـر والمعروضـة بطريقة جـذابة، هناك بائعـات الحلوى والخبـز اللائى يصنعنه على قـارعة الطريق لإغـراء المارة بشـرائه ولو لم يـكونوا بحـاجـة إليـه، ويقـاسـم هؤلاء واولئك قـارعـة الطريق.. مجموعات من الطبالين والمداحين والمقرئين لبعض ما تيسر من آى الذكر الحـكيم، ومروضى القـرود والثعـابين وباعة الأعـشاب الطبـية وكتـاب الأحـجـبة والحـروز والحكواتيـة الذين يحفظون عن ظهـر قلب ويتلون بأسلوب درامى قصص التراث العربى القديم مثل: سيف بن ذى يزن، وأبوزيد الهـلالى سـلامـة، وعنـتـرة العـبـسى، إلخ.. إلخ. إن هذه المسارح على الهـواء الطلق تحول الأزقـة والشوارع إلى قاعـات عروض للامتاع والمؤانسة وتزجية ما تبقى من نهار رمضان الطويل بالمغرب حيث تصل فترة الإمساك عن الطعام والشراب لأكثر من ١٥ ساعة فى اليوم.
وفى اطار التـعـاطى الامـثل مـع الخـصـائص الذاتيـة فـإن أيام الأجـازة الأسبوعيـة تطالها الانقلابات الرمضانية، حين تهـاجر الأسر بكاملها إلى القرى المتاخـمة للمدن لقضاء سحابة النهار فى المروج الخضراء واستنشاق هواء الريـف النقى، والتـمـتع بمناظره الخلابـة، وممارسة أنواع الرياضـات المرحة، إلى جانب التـزود الأسبوعى باللحم والخضر الطازجـة وخيرات الريف من سمن وعسل وبيض ولبن وفواكـه بالسعر الذى يبيع به المزارع

لتاجر الجملة، وهكذا تستفيد ربة المنزل من مضمون المثل القائل حساب المزرعة ليس كحساب البيدر، ويستفيد أفراد الأسرة برحلة ممتعة تبغي موضوع حديث السهرات الرمضانية التي تضم الأحباب والأصدقاء على ايقاع كؤوس الشاي الأخضر بالنعناع، وقطع الحلوى والأطباق المتنوعة لـ«المزة» الرمضانية أثناء متابعة الارسال التليفزيوني في السهرات البيتية أو على طاولة قهوة نصبت خيمتها في قلب أحد شوارع المدينة التي تبقى ساهرة ومكتظة بالرواد لحين اقتراب موعد السحور.

إن اعدادا كبيرة من المغاربة تتيسر لهم وسائل نقل خاصة تمكنهم من متعة التجارة والزيارة سابقة الذكر، ولكن هذه الأغلبية لها أسواقها التي لاتقل امتاعا.. والتي توجد في اغلب المدن على مرمى حجر من الأحياء الشعبية ذات الكثافة السكانية الملحوظة، ففي مدينة الرباط عاصمة المملكة توجد ساحة مساحتها عدة هكتارات يجد فيها المرء كل ما يحتاجه مما يتعلق بسلة الطعام حيث يشهد بأم عينه القصاب يشحذ سكينه وينحر ذبيحته، أو يجد المزارع بيديه التي اكتست أظفارها بلون التراب يبيعه حاجته من بضائعه الطازجة وبالأسعار التي ترضيه. أو تعلق الأمر بحاجات أخرى تندرج في اطار المائدة الرمضانية، تدخل في دائرة الملابس والمفروشات والأواني.

ويوم الأحد، فإن «الحوش» الواسع الذي يطل على المحيط الاطلنطي في قلب مدينة الرباط، يتحول إلى سوق تجتذب إليها بضع مئات بل آلاف الرواد، ويطلقون عليها «سوق الغزل» أي ان مادته الأساسية المعروضة

للبيع وبأسعار لا تقبل المنافسة هى الملابس والأفرشة والأوانى.. تضاف إليها الكتب والمجلات القديمة، وأشرطة القرآن الكريم.

-وبعد- ان لرمضان مكانة عزيزة فى نفوس المغاربة أسوة بأخوتهم فى مشارق الأرض ومغاربها، بيد أن الجديد الذى تفرضه الانقلابات الرمضانية فى حياتهم يعب ويغترف من المضمون الروحى للتراث الإسلامى، فالمؤسسات تمنح موظفيها حرية ترك العمل عندما يؤذن «الله اكبر» وخلال شهر رمضان فإن شرطة المرور تملأ الشوارع المؤدية إلى المساجد لحفظ نظام السير الذى غالبا ما يختنق بسبب مواكب المتجهين إلى المساجد.

ومن المظاهر المعبرة عن تنزه النفوس عن ملذات الدنيا الفانية، المساحات المخصصة للنساء فى المساجد والتى تتسع يوما بعد يوم فى أوقات أداء صلاتى الظهر والعصر، ذلك أن الموظفات أسوة بالرجال يحرصن على أداء هذه الصلوات فى بيوت الله خلال شهر رمضان.

وبما أن الجلاية باعتبارها الزى القومى المغربى بالنسبة للمرأة قد عرفت على صعيد التفصيل والخياطة ومهرجانات الألوان وشفافية الثوب وليونته موجة عارمة صنفتها ضمن الموضة الغربية فإن هذا النوع منها يختفى تماما من شوارع المدن وأماكنها العامة تقديرا لما يتوافر عليه هذا الشهر المبارك من قدسية فى النفوس؛ فالموظفات يهجرن أثوابهن الرومية -على حد تعبير المغربى- أى المستجيبة لصيحات بيوت الأناقة الاوروبية

ويرتدين الجلابة الخشنة الواسعة الفضفاضة التى تغطى صورة هلامية عن الجسد الذى تلفه.

إن منظر الأطفال أحباب الله فى أى زمان ومكان يبعث على البهجة والسرور بيد أن مشهد البراعم المغربية ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك ينحت نفسه فى الذاكرة بمكان لا تطاله مياه الزمان.

وإذا كان المعتاد وانت تؤدى الصلاة فى المسجد ان تجد طفلا إلى جوارك لم يتجاوز الخامسة أو السادسة يقاسمك أداء الفريضة، فلأن المغاربة أهل رشاقة وأناقة، فإنهم غالبا ما يكونون جميعا يرتدون الزى القومى المميز المكون من الجلباب الأبيض الناصع و«البلغة» الصفراء أو البيضاء، باعتباره الزى التقليدى للصلوات الجماعية ومقابلة الحكام، فإنهم يحرصون أيضاً على اقتناء أثواب أطفالهم لهذه المناسبات انطلاقاً من هذه القاعدة.

وخلال شهر رمضان وعلى اثر الانقلابات الناجحة التى يعيد بها صياغة الحياة المغربية، فإن الأطفال يأخذون نصيبهم من المتغيرات الرمضانية؛ فبالإضافة إلى ولع الأطفال دون سن العاشرة بتقليد الأبوين ومحاكاتهم يحرص الآباء المغاربة على تمتيع أطفالهم بعناية خاصة خلال هذا الشهر، حيث تجرى بأناة وروية غرس القيم الإسلامية النبيلة فى نفوسهم ولكن دون ارهاقهم بما لا طاقة لهم به؛ فالأطفال يريدون تقليد الآباء والآباء يتحينون هذه الفرصة لتعميق القيم الدينية فى نفوسهم ولكن طاقتهم ليس بمقدورها تحمل يوم صيام قد يصل إلى ١٦ ساعة، وإلى ذلك فإن

عبقرية الجدات تتفتق عن حيلة يصفق لها الصغير ويرمقها الأب بإعجاب، وهى اقناع الطفل بصوم نصف نهار كل أسبوع على أن تقوم الجدة بخياطتهم ليصبحوا أياما كاملة هكذا يحدث الأمر لمن هم دون السابعة، أما من تخطوها فلهم الخيار ان يصوموا يوما كاملا فى بداية الشهر ومثله فى منتصفه ومثلهما يوم السابع والعشرين من رمضان، وهو الذى يطلقون عليه «ليلة القدر».

وفى هذا اليوم المشهود فإن برنامج الأسرة بأكملها يعرف انقلابا لم يحدث له مثيل حيث يتوزعون للقيام بتحضير مائدة بمثابة مأدبة تكريم للأطفال. ويقوم فريق آخر بأخذ الطفلة إلى بيوت الأناقة النسائية التى تفتح أبوابها فى هذا اليوم لتزيين البنات، ويأخذون الأولاد إلى الحلاق لأداء نفس المهمة، وينتقلون به إلى الحمام البلدى، لغسلهم جيدا باعتبارهم عرائس فى هذا اليوم المبارك.

ومع اقتراب آذان المغرب تكتمل عناصر المشهد الخلاب حيث يلبسونهم أثواب العرائس والحلى والجواهر، مع قطع ذهبية تهدى إليهم مكافأة لهم على الصيام، وعند التحلق بمائدة الافطار فإن العرائس الصغيرة تجد نفسها موضع اهتمام وعناية مشوبة بالحب الكبير فهذا يقدم الحلوى وذاك الحليب في حين تزغرد الأم تعبيرا عن الفرح الصادق.

وبمجرد رفع الصحاف عن المائدة فإن الأب يصطحب الطفل إلى المسجد ليؤدى إلى جواره صلاة التراويح وليدعو لإبنه بالصحة والعافية والنجاح فى حين تبقى البنت عروسا تحف بها اخواتها وجاراتها اللائى يقمن

حفلا لهـا، إلى أن يعود الأب من المسجد ليأخذ الجـميع فى جولة طويلة وممتعة فى أهم شوارع المدينة وتطلق الأسرة يديهـا استجابة لكافة طلبات العرسان حيث تزدهر مبيعـات لعب الأطفال وملبوساتهم، وتكتظ متاجر الحلويات بالرواد المتميزين بأثواب العـرس الزلهية. إن الزائر للمغرب فى هذا اليوم سيجـد نفسه أمام اليوم المغربى للطفل، ذلك أن المشـهد اغترف الكثير من معين الاحتفالية الذى لا ينضب فى الحياة المغربية.

أما عن أشهر المأكولات المغربية فى هذا الشهر فأنا نجد لديهم:

الافطار عادة يكون على الحليب والقهوة التركى. أما مائدة الطعام العادية فهى تتكون من اللحوم والخضر، لكن لا بد أن تحتوى فى رمضان بالذات على الحـريرة وهى شوربة بالكسـبرة والبـقدونس والكرافس والحـمص والعدس والطماطم والبصل، وهذه ضرورية جداً.

أما أنواع الحـلوى الرمضانـية فى المغرب فـهى كثـيرة، منهـا: السلو وهو معـجون من الدقـيق والزبدة والمكسرات يؤكل سـاخناً ثم هناك الشـبيكة وهى حلوى من الدقيق والعسل والسمسم وماء الورد.

كذلك هناك المخرجة وهى وردات من الدقيق المعجون والمقلى فى الزيت ومغمسة بالعسل.

وهناك كـعب الغزال وهى مـثل القطايف أى دوائر من العـجين النصف سوى تحشى بالمكسرات ويرش عليها سكر البودرة.

فى السودان

يحتفى السودانيون بشهر رمضان احتفاءً كبيراً وتبدأ الاستعدادات للصيام قبل شهرين كاملين فمع بداية شهر رجب والذى يسمونه رجب الخير يبدأ البعض فى الصيام ومن السودانيون من يصوم شهرى رجب وشعبان كاملين ومعظم الناس يصومون أغلب شهر شعبان ويسمون هذا الشهر «قصيرا» اعتقادا منهم أن هذا الشهر يمر سريعا إذ إنهم يتطلعون لرمضان.

وأغلب الذين يكثرون من الصوم قبل رمضان هم الذين اعتادوا على شرب المكيفات خاصة الشاى والقهوة ويجدون فى هذا الصيام فرصة للتغلب على عادات الطعام والشراب حتى إذا حل رمضان صاموه دون مشقة أو عناء ومعلوم أن أهل غرب السودان مولعون بشرب الشاى ولهم مجالس خاصة لذلك لها طقوسها وعاداتها. ومن يشرب أكثر يسمى الحريف كما أن أهل الشرق معروفون بحب شرب القهوة ولهم فيها أشعار وقصائد.

● الاستعداد

فى الشهرين السابقين لرمضان تجرى استعدادات كبيرة لهذا الشهر تشمل إعداد الأطعمة الخاصة برمضان وتهيئة أماكن الراحة والصلاة وأماكن الإفطار. وأهم ما يعد ويصلح لرمضان الرواكيب وهى مبان من القش والطين تنصب أمام الغرف وهى معروفة بنسيمها العليل الطيب توضع فيها «العنا قريب» وتفرش ويقضون فيها جل النهار وينامون بعد الظهر وفى شعبان يعاد إصلاح هذه الرواكيب بتجديد البروش والقش

ويزخـرفـونها.. وفـى القرى يجـرى إصـلاح الآبار التى يشـربون منهـا وتسمى عملية الإصلاح «قلع وتكحيـل» البئر حتى يؤمنون حاجاتهم من الماء خلال الشـهر ولا يضطرون لعـمل شاق إذا اسـتدعى الأمـر إصلاح البـئر فى رمـضان. وبعـد ذلك يشتـرون البروش الجـديدة والتى يصلون ويفطرون عليها ويتسامرون خارج المنزل.

ويقوم أهل الحى بإصـلاح المسجد وتجديده بالبناء والطلاء وتجـديد فرشه وكذلك يصلحون الخلاوى، وهى أماكن تدريس القرآن والعلوم الشرعية للأطفال الذين يرغبون فى حفظ القرآن الكريم.

والعـادة التى يتـمسك بـها السـودانيـون هى تناول الإفطار فى الطرقـات وخارج المنازل ويقومون بشراء ما يلزم ذلك.

● معدات المائدة

ولمائدة رمضـان بعض الأوانى الخاصـة بها وأهمهـا «الكورية» وهى إناء مسـتدير تكون فتـحته أكبـر من قاعدته ويشـربون بها الليمـون والحلومر والأبرى.. ثم يشترون «الجرادل» الصغيرة وهى إناء يسع حوالى ٣ لترات تحمل به المشـروبات إلى موقع المائدة ويشتـرون «الكوز» وهى إناء تغرف به المشـروبات.. ثم يشتـرون الصحن الخـاص لأكل «البليلة» وهو ملون ومتوسط الحجم.

● أطعمة رمضان

يطلق السـودانيون على كل الأطعـمة التى يصنعونهـا فى رمضـان اسم

«مـوية رمــضــان» ومـوية تـعنى الماء وهذا الاسم يدل علـى المأكـولات والمشـروبات معـاً ومن أهم مـشـروبات رمضـان «الأبرى» و«الحلومـر» وعملية إعداده تمر بعـدة مراحل، وتبدأ منذ شهر قصير أو شـعبان. بعمل الزريعة وفـيها ينظفون الذرة «الصـغيرة الحمـراء» ويخففونهـا ثم تفرش الجـوالات وتوضع عليـهـا لمدة ١٠ أيام إلى أن تـنبت وتـتـفـتق عن نبت صغـيرا ثم يجـفف ويطحن وتصنع منه عجـينة يضاف إليـها الكثـير من التوابل وبعد ذلك يـوضع على النار فى «الصاج» لتتم عمليـة «العواسة» وهى طهى الحلومر وبعدها يكون شكله عبارة عن لفائف مربعة يمكن أن تعيش طويلا وعندمـا يراد صنع المشروب منها تبل فى الماء لعـدة ساعات ثم تصفى لـيكون الناتج مشروبا أحـمر اللون لذيذ الطعـم هو «الحلومر» ويسمى بذلك لأنه شـاق ومر فى صنعه ولكنه حـلو فى الطعم والحلومر يذهب العطش ويعطى احـساسـا بالإرتواء لفتـرة طويلة. وكلمـة أجرى تركـية الأصل وهى ذات مـقطعين أب بمعنى عـاد ورى الارتواء ويكون المعنى عــودة الارتواء أو ذهاب العطش، ويصنع أهـل السـودان الأبرى الأبيض وهو من الذرة ولونه أبيض ويكون شكله فـى رقائق شفـافة يبل بالماء والسكر وكـذلك يصنعـون «الرقاق» وهى رقـائق أكـبر سـمكا من الأبرى وتؤكل فى السحور وتبل فى اللبن وتوضع أمام الأسرة عند النوم لتؤكل ويـشرب لبنها عـند السحور، وفى شـهر رجب يبـدأ شراء التـمر ليحـصلوا على الجـيد منه ويضـعونه فى الماء قـبل الإفطار لعدة سـاعات ويأكلون عدة تمرات قبل شرب الماء ويشربون ماءه أيضا.

● وفى رمضان يصنعون «البليلة» وتعد من الذرة والكبكبية وهو الحمص وتؤكل قبيل الإفطار فى رمضان وقد تؤكل مع التمر ويضعون فوق البليلة عدة تمرات وفى الريف يصنعون البليلة من «اللوبيا».

ومن الأطعمة الهامة فى رمضان العصيدة وتسمى «اللقمة» وهى عجينة من الذرة تترك حتى تتجمد ويصب عليها «الملاح» وتؤكل ساخنه عند الإفطار ولا تخلو مائدة فى رمضان من هذه «العصيدة».

ومن العادات القديمة التى يحافظ عليها كثير من السودانيين حتى الآن. إرسال «موية رمضان» إلى المسافرين من الأهل والأولاد أيا كان البلد الذى سافروا إليه. وتهتم والدة الفتاة المخطوبة بإرسال موية رمضان إلى خطيب بنتها وحتى بعد الزواج تحرص على إرسالها وتكون غالبا من التمر الجيد والأبرى والحلومر والرقاق وتوضع فى «قفة» وتبعث إلى أهل الخطيب وترسل معها بعض الآنية الخاصة برمضان وهى ترمز إلى مقدار حبهم للإبن البعيد أو زوج البنت أو خطيبها وإذا كان المرسل إليه عريسا أو خاطبا فى مكان قريب فإن مجموعة من النسوة تحمل هذه الأشياء وتذهب بها ومعهن والدة العروس والأقارب.

● الإفطار والسحور

جرت العادة على تناول الإفطار خارج المنزل ويجلس الرجال على البروش على قارعة الطريق فى شكل مجموعات، وترسل كل أسرة ما يتوافر لديها من طعام وشراب وشاى وقهوة.

وتهدف هذه العادة للترابط ولتمكين الفقراء الذين لا يستطيعون صنع

أطعمة تساعد على الصيام من الأكل فى جماعة وكذلك «للعزابة» وهم الذين يسكنون رجالا غير متزوجين وغالبا ما يكون هؤلاء من العمال والموظفين الذى جاءت بهم ظروف العمل مثل الطبيب ومساعده والمعلمين بالمدارس وغيرهم.

وفى السحور يقوم «المسحراتى» بالتجول على الحى وهو يقرع على طبل وينادى «يا صائم قوم اتسحر ويا فاطر قوم اتندل» وتعنى أن المفطر غير معنى بهذا النداء، وعليه أن يغط فى نومه العميق، وفى هذا شبه ذم للمفطرين.

وهنالك عادة متبعة إلى الآن فى القرى والأرياف وتسمى الرحمات هى من الرحمة وتكون فى آخر خميس من رمضان لأنه اليوم الذى يسبق الجمعة اليتيمة وهى آخر جمعة فى رمضان.

وفى هذا اليوم تصنع النساء الكثير من الأطعمة وتتكون من اللحم والفطائر والحلويات والبليلة وتوزع على الجيران والفقراء.

ويتجول الأطفال على المنازل لجمع الصدقة ويخص طلاب الخلاوى بأكبر قدر منها. ولطلاب الخلاوى تعامل خاص مع هذه الأطعمة حيث يصنعون منها كرات يخلطون كل صنوف الطعام حلوها ومرها فيها وتوضع هذه الكرات حتى تجف لتؤكل- وعندما تحين ساعة أكلها يمزجونها بالماء ويأكلونها وتسمى هذه الكرات من الطعام «الجانديقة».

● الأسبوع الأخير

وفى آخر أسبوع من رمضان يبدأ الاستعداد لعيد الفطر وتخرج زكاة الفطر وتوزع على الفقراء ليتمكنوا من الاستفادة منها قبل العيد..

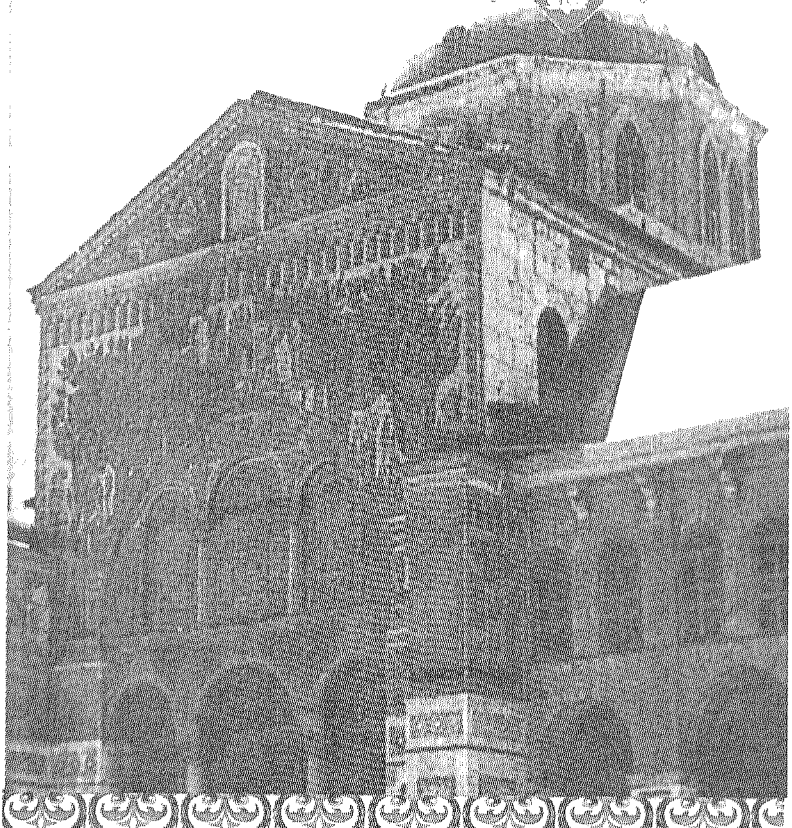
ثم تصنع الملابس الزاهية الجميلة وملابس الأطفال تكون زاهية وملابس الكبار تتكون من جلابية بيضاء وعمامة وشال وطاقية ومركوب أبيض «حذاء».

والذين توفى لهم أحد أفراد الأسرة فى العام المنصرم فإن النسوة يصنعن طعاما يوزعنه كصدقة جارية له وفجر العيد تقوم النساء من أهله بأخذ كميات من التمر والفطائر عليها السكر ويذهبن بها للقبر ويبكين عليه ثم يضعن هذه الصدقة على قبره ويأتى الفقراء والأطفال ويأخذونها.

● صلاة العيد والمعافاة

وصلاة العيد فى السودان يعتبرونها واجبا على كل شخص حتى الذين لايصلون خلال العام كله تكاسلا فهم يحضرون للصلاة وبعدها يذهبون لتناول الإفطار فى المسجد أو الخلوة أو منزل أحد الوجهاء وفى هذا الإفطار يسرع كل الذين لهم خصومات ويصلحون بينهم ويقول المتخاصمون لبعضهم «اعفوا عنا» ويرد الآخرون «عافيناكم» وبعدها يخرج الرجال فى جماعات بلباسهم الأبيض وعمائمهم ويطوفون على المنازل لمباركة العيد وتقدم لهم الحلوى والكعك والتمر ويستمر ذلك إلى أن يجوبوا الحى كله.

فى
سورية



تعيش دمشق فى رمضـان طقوسا مختلفة تتجدد يومـيا لتضفى على هذا الشهر المبارك رونقا يميزه عن باقـى الأشهر، ولقد عاشت دمشق تقلبات حادة منذ بداية القـرن العشرين وواجـهت الازمنة الحديثـة بشكل سريع، فلم يختلف طرازها المعـمارى فقط او يتبـدل تركيبها السكـانى فحسب، وانما نسـجت شكلا جـديدا من العـلاقـات والتـقـاليـد التى تتـوافق مع التغيرات التى شهـدتها. وهى غدت مدينة مختلفة كليا عـما كان يميزها سابـقا، وحتى يـروى لم يعد يتـدفق كمـا فى السابق، واخـتفت فـروعه السبعة بعد ان غطيت بشكل كامل.

ومن ناحية العلاقات الاجتماعـية، فإن زوال الشكل العمرانى القديم غير تركـيب العائلة، ولـم يعـد الزقـاق وحدة مـتكاملة، واختـفت السهـرات القديمة التى كانت تضم عائلات بأكـملها.. وتستطيع تلمس هذا التبدل فى المواسم الخاصة، كموسم الحج او العيد او رمضان.

قبل نصف قرن كان قدوم رمضان فى دمشـق مختلفا تماما، واذا استمرت بعض العادات حتى اليوم فلأنها اسـتثناءات صمدت بحكم الحفاظ على التـراث ليس الا المسحـرون الذين كـانوا يهتـمون بـإيقاظ نصف مليـون مواطن فى اوائل الستينات، اصبحوا يـجوبون الشوارع القديمة فقط بعد ان بلغ عدد سكـان دمشق حوالى خـمسة مـلايين. والحكواتى الذى ظل حتى اوائـل الخمسـينات مسئوولا عن ترفـيه الدمـشقـيين، الغتـه برامج التلفاز، واصبح للسائحين وللمهتمين بالتراث فقط.

ومازالت احدى سـاحات دمشق تحمل اسم سـاحةالمدفع، وهى تقع على

طرف شارع ابورمانة. وكان اختيار هذا الموقع لانه بعيد عن المدينة، اما اليوم فهو فى مركز المدينة، بل فى ارقى احيائها. واختفى المدفع على رغم بقاء صوته الذى يعلن عن موعد الافطار والامساك، واستبدل بحشوة خُلبية شبيهة بالألعاب النارية، اما فى الاحياء الحديثة، مثل المزة وبرزة، فلا وجود للمدفع ولا حتى لصوته. وقبل عقود خلت كان الاطفال يتحلقون فى ثلاث ساحات اساسية فى دمشق هى: دوار الميدان وساحة المدفع وحديقة المزرعة، منتظرين مدفع الافطار.

وبعد سماع دويه يتراكضون صائحين باتجاه منازلهم، اما اليوم فالشوارع تخلو من الحركة قبل المغرب بربع ساعة تقريبا. من ناحية اخرى، كانت الحافلات الكهربائية العاملة بين منطقة المهاجرين وبوابة الميدان تتوقف فجأة مع مدفع الافطار، ويتناول سائقها وجبة سريعة ثم يتابع الحركة بشكل بطىء. السكون الذى يميز دمشق عند ساعة الافطار مازال موجودا، ولكن الحافلات الكهربائية اختفت، وبقيت الحافلات العادية التى تتوقف عند ساعة الافطار فى محطاتها الرئيسية.

وهناك حالة أخرى كانت تميز نهار رمضان، هى دوريات من الشرطة مختصة بآداب رمضان، كانت تردع المفطرين عن الاكل علنا فى الشوارع، وتجبر المطاعم العامة على تغطية واجهاتها الزجاجية كى لايشاهد الصائمون من يتناول الطعام داخل المطعم. هذه الدوريات اختفت على رغم ان القانون السورى مازال ينص على عقاب المفطر علنا بالسجن حتى اول يوم من العيد.

اعتاد سكان دمشق التوفيق بين العبادة وقضاء نهار رمضان، فهم يباركون لبعضهم بقدوم الشهر ويصلون الارحام ويفضون كل منازعتهم، ويتصالح المتخاصمون. ويمضى الشهر بزيارات تعيد العلاقات الاجتماعية إلى طبيعتها. وبقيت عادة صلة الرحم وفض المنازعات قائمة حتى اليوم، لكنها لم تعد تستهلك هذا الوقت الطويل، واصبحت بروتوكولية إلى أبعد الحدود. اما الوقت فإن البرامج التلفازية فى رمضان كفيلة به، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى القدير، فالبث التلفازى فى رمضان يبدأ باكرا ولايتوقف الا مع ساعات الصباح الاولى لاهيا للمسلم سارقا اياه من العبادات الواجبة فى هذا الشهر المبارك.

عائلات دمشق الثرية اعتادت فى كل يوم رمضانى اقامة مأدبة عامرة للفقراء، وعند ساعة الافطار يتوافد الفقراء اليها، وعند خروجهم يعطيهم صاحب الدار اكياسا تحوى طعاما لعائلاتهم. ولم يتوقف موضوع الصدقة فى رمضان، لكنه اخذ شكلا آخر. فالجمعيات الخيرية تولت هذا الأمر، واستعيض عن الطعام بالمال، فإذا كانت الموائد سابقا تخلق صلة ما بين الفقير والغنى، فإن سرعة الحياة اليوم تتطلب المساعدة المالية قبل اى شيء آخر. واذا كان النشاط الرمضانى اقتصر على الرجال، فإنه اتخذ اليوم منحى جديدا، فالنساء يذهبن إلى المساجد ويخصص لهن حرم خاص، فيشاركن الرجال عبادات رمضان، سواء صلاة التراويح . او حضور صلاة الجماعة.

● اسواق دمشق

يغير شهر رمضان حركة العمل فى اسواق دمشق وفق توقيته الخاص، فتجار الالبسة يخرجون إلى عملهم صباحا وهم يتوقعون حركة بطيئة، تتيغر مع مرور الشهر، حتى تصبح نشطة فى العشر الاواخر، بينما يعمل تجار المأكولات صباحا ويرتاحون مع حلول الظهيرة.

عندما ينتصف شهر شعبان تخضع الأسواق لجدول زمنى يحدده قدوم الشهر المبارك، والجميع يريد الحصول على حاجاته قبل رمضان، والدمشقى يتسوق «التمر هندى» و«القمر الدين» شتاء. وهم يحفظون مربى المشمش للشتاء ليصنعوا منه شرابا شبيها بمحلول قمر الدين اما فى الصيف فيتسوقون شراب الورد الجورى، وهو نوع من المشروبات يحمل نكهة خاصة من رائحة الورد، وهو نوع من المشروبات يحمل نكهة خاصة من رائحة الورد، وهو مشروب دمشقى يندر وجوده خارج محيطها. اما عرق السوس وشراب العيدان فيتم تحضيرهما داخل المنازل.

ويحضر الدمشقى انواع السمن والارز والاجبان كى يرتاح من عبئها خلال الصوم. ونرى سوق «البزورية» يعج بالزبائن، تجارا ومواطنين عاديين. فالتجار يخزنون البضائع تحسبا لازدياد الطلب عليها، خصوصا بائعى الحلويات الذين يتسوقون حاجة الشهر بأكمله، ليتفرغوا بعد ذلك لصنع حلويات رمضان من دون ان يتعرضوا لتقلبات الاسواق. ويزيد اصحاب البقالة انواع المواد التى يعرضونها، وهو اسلوب اغراء للصائم كى يشترى انواعا جديدة من المأكولات.

والعشر الأواخر من رمضان تعنى حياة الاسواق ليل نهار، الناس يسارعون إلى التسوق من اجل العيد، ويواصل التجار ليلهم بنهارهم محاولين تلبية طلبات زبائنهم، خصوصا الملبوسات التى يقبل عليها الناس من اجل العيد. وتبقى شوارع دمشق مكتظة حتى حلول الصباح.

السوقان الأساسيتان اللتان تميزان دمشق فى نهاية رمضان هما سوق الحميدية وسوق الصالحية، فكافة المتاجر تقوم بتزيين واجهاتها اضافة إلى الطرق المتنوعة فى عرض البضائع المكثفة. وسوق الحميدية مقصودة لشراء الاقمشة المستعملة فى خياطة ملابس العيد. بينما يذهب من تستهويهم الالبسة الجاهزة إلى سوق الصالحية. فنرى الأب وجميع ابنائه او الام وبناتها لايضنيهم التعب والجوع بل يصرون على متابعة البحث من اجل ايجاد ما يناسبهم. وهكذا تغزو الاسواق مكانا للانشطة الاجتماعية. واذا أخذنا فى الاعتبار ان المساجد ايضا تبقى مفتوحة ويرتادها الجميع، ندرك كيف تصبح دمشق بأسواقها ومساجدها شعلة من الحركة والنشاط.

● المشروبات والأطعمة الدمشقية

الصائم حين يمتنع طوعاً عن الشرب فى رمضان فانما يمتحن ارادته طاعة لرب العالمين باتجاهين متلازمين: الاول: حاجة بدنه الطبيعية لتعويض السوائل، والثانى اتجاه نفسى يتجلى فى نزوعه للاستمتاع بالشراب.

واذا كان الدمشقيون بالغوا فى حرصهم على جعل انهار بردى تتدفق إلى

قلب منازلهم، فانهم يحرصون فى شهـر الصوم على احلال مشروباتهم الرمضانية المرتبة الأولى على مـائدة الافطار. ففى الصيف او الشتاء انواع لاتحصى من السوائل التى يصنعونها لتسد الظمأ من جهة، ولتعوض عن يوم طويل من افتقاد الماء. والدمشقيـون يدخلون اشكالا مختلفة للحركة على السوائل، تتوافق مع ارتقاء الذوق الانسانى. فلا يكتفى الصائم بالماء فـقط وانما يصنع انواع المشـروبات التى يتـداخل فـيهـا الحـامض والحلو والمالح، وبذلك تعـوض عـن انواع السـوائل والامـلاح والطاقـة فى آن، ونادرا مانشاهد مائدة رمضانية مقتصرة على الماء فقط.

ان اختلاف الفصول فى دمشق بين صـيف وشتاء وربيع وخريف، اضافة إلى قدوم رمضـان متنوعة وتحددها انواع الفواكة او المواد الاوليـة المتوافرة عبر فصول السنة.

فى الصيف مثـلا يكون هدف المشروبات تعويض اكبـر قدر من السوائل والاملاح نتـيجـة الحر وتعرف الصـائم، فنجد عـرق السوس او العـيران «اللبن بعد ان يخـفف بالماء».. واذا اخذنا فى الاعـتبار الامـلاح الموجودة فيهما نعرف السبب الاساسى لاعتماد هذين الصنفين صيفا.

بينما نجـد محلول «القـمر الدين» «المشـمش المجفف» و«التـمر الهندى» يسودان شـتاء، وهمـا يحويان قـدرا اكبر من الـسكر، وبالتالى يعـوضان الطاقة المفقودة فى برد الشتاء.

من جهة اخرى نجـد اغلب الموائد الرمضانية يحو عصيـر البندورة صيفاً، وهى متوافرة فى دمشق صـيفا وبأسعار معقولة.. بينما تحـدد الحمضيات

فى الشتاء وجود عصير البرتقال بشكل دائم على المائدة الرمضانية.
وغالبا ما يتم تحضير المشروبات قبل البدء بالطبخ كى تبرد وتصبح جاهزة فور اذان المغرب. وهذه الانواع معدة فقط لمائدة الافطار، اما بعد الطعام فتظهر مشروبات اخرى، غالبا ما تكون ساخنة. فالشاى على سبيل المثال يصنع فى ثلاثة اشكال حسب فصول السنة، فهناك الشاى مع النعناع او الزنجبيل صيفا، والشاى بالقرفة شتاء، وهناك ايضا شراب الزهورات والمليسة والبابونج ، ومع انها مشروبات طبية، لكن الدمشقيين يتناولونها بكثرة فى رمضان، وغالبا ما يبقى المرء بعد الافطار ساعات طويلة وهو يرتشف بهدوء انواع السوائل المختلفة. ويستعمل الدمشقيون تعبيراد ارجا اصبح بمثابة مثل شعبى يقول: «الصائم عينه جوعانه». ويقصدون بذلك التعبير عن الجوع الذى يصيب الصائم، بأنه جوع وهمى، وعندما يحين موعد الافطار لايأكل سوى القليل لأن معدته تأخذ حاجتها بينما تشتهى عينه الكثير اثناء النهار.
هذا المثل ينتقل بشكل عملى إلى عادات دمشق الرمضانية، فموائد رمضان حالة فريدة لاتتكرر فى اى شهر من الشهور، ولا حتى خلال الولائم، اذ تشهد تنوعا كبيرا ابتداء من الحساء وانتهاء بأنواع الحلويات.
فالمائدة الرمضانية تحوى بشكل «الفول المدمس الدمشقى»، أى المخلوط مع البندورة والبقدونس، وهو يؤمن للصائم البروتين النباتى والزيت اضافة لانواع الفيتامينات وتشكل «الفتات» بأنواعها طبقا رمضانيا آخر،

فهنـاك فتة الحـمص واللحمـة والسجق والكلاوى، وهى بمـجملها غـنية بالبروتين الحيوانى سواء باحتوائها على اللبن او انواع اللحوم.

تتحلق العـائلة حول المائدة بانتظار مدفع الافطار، وامامـها كافة مـا تحتاج كى لايضطر احـد للقـيام اثناء الطعـام. هناك اباريق «التـمـر هندى» او «العرقـسوس» او نقوع «الـقمر الدين» ويفـتتح الطعـام بالحساء: حـساء العدس شتاء، وحساء الخضار صـيفا. وبعدها تأتى انواع الفتات مع بقية الاطعمة. والحلويات الدمـشقية مشـهورة بشكل عام وهى من الاصناف الرمضـانية، فالـبرازق والغريبـة والعجوة والمبـرومة والبللورية والمعـمول اصناف تتـميـز بها دمـشق. لكن محـلات الحلويات تبـدأ بصنع اشكال جـديدة نادرا ما تتـوافر خـارج شهـر رمـضان. والميـزة الاساسـية لهـذه الاصناف هى دخول القشطـة فيها. فخـلال الأيام العشرة الاولى من هذا الشهـر نجد صنفـا متمـيزاً يسـمى «النهش» هو عبـارة عن رقائق عـجين توضع فوق بعـضها، ثم تقطع دوائر كـبيرة، وتشوى فى الفـرن، وبعد ان تنضج تحشى بالقـشطة وتزين بالفستق. وهذا الـنوع من الحلويات مرتبط برمضان، ويقبل عليه الناس منذ اليوم الاول.

بعد الايام الاولى يبدأ الدمشقيون بتبادل الزيارات مهنئين بعضهم بحلول رمضـان، ما يتطلب اصنافا جديدة مـن الحلويات للضيافة لذا نجـد انواعا تظهر كل يوم فى واجـهات المحلات: «المغشوشـة» نوع من انواع الكنافة المحشوة بالقشطة بدلا من الفستق، واطلق عليها الاسم لانها مثل الكنافة المبرومـة ولكنها «غـشت» واستـبدل الفـستق بالقـشطة. وهناك الوردات

والوريات بالقشطة وتشبه إلى حد ما النهش، ولكن حجمها اصغر وكمية القشطة التى تحتويها اقل. ويصنع الحرفيون ايضا «العوامة بالقشطة» «لقمة السيد بالقشطة»، ولا تختلف عن العوامة العادية سوى باغراقها فى طبق من القشطة.

والملاحظ هنا ان مادة القشطة اساسية فى كل الانواع، وهى عادة توارثها الدمشقيون لانهم يتفاءلون باللون الابيض ولاتزاحم حلويات رمضان باقى الاصناف، بل تبقى شأنا اضافيا فالناس يشترون الحلويات العادية ومعها صنف من حلويات القشطة، فالبرازق والغريبة وغيرهما تشهد اقبالا كبيرا، وعادة ما ينتج المحل خمسة إلى ستة اضعاف ما ينتجة عادة من هذين الصنفين، اضافة إلى العجوة التى يعتبر الدمشقيون انها مفيدة جدا فى شهر الصوم.

يفرض حجم استهلاك الحلويات فى رمضان على البائعين العمل ليلا ونهارا، فهم ينتجون الحلويات العادية ليلا ويحضرون فى النهار حلويات القشطة لتظل طازجة حتى حلول المغرب. ولاتغلق المحلات عند حلول ساعة الافطار، بل يبقى اصحابها ليتابعوا عملهم، فيحضرون وجبة فطور للعمال، ويبدأ البيع بعد نصف ساعة من اذان المغرب عندما يتوافد المصلون إلى المساجد لاداء التراويح، فيقصدون محلات الحلويات ليسجلوا طلباتهم، وعند عودتهم من المساجد تكون جاهزة فيأخذونها معهم إلى البيت. ولايعنى هذا ان البيع يتوقف نهارا، وانما يشهد حجم عمل اكبر ليلا.

وابتداء من منتصف رمضان، تشرع المحلات بالتحضير لحلويات العيد، فتختفي بعض الاصناف وينهمك العمال بإعداد اصناف اخرى كالكنافة المبرومة والمعمول و«الكرابيج» و«البللورية». وهذه تحتاج جهدا ووقتا اكثر من مثيلاتها، لذا تعتذر معظم المحلات عن بيع البرازق والغربية اذ لاوقت لانتاجها، ويختفي النهش تماما. ويكون الدمشقيون اساسا قد عزفوا عن هذه الاصناف وبدأوا يفكرون بحلويات العيد.

وبشكل عام يخف الاقبال على اطباق الحلويات فى نهاية رمضان، لأن الصائم يكون اعتاد الصوم، وشكل معه حالة توافق، ولم يعد يشعر بالجوع كالسابق، لذا ليس غريبا ان يختفي طبق الحلويات فى الايام العشرة الاخيرة من رمضان، لكنه يبقى فى ذكراة، ويرتبط بالتقاليد الاجتماعية المرافقة لفريضة الصيام.

وتقاوم الآن مهنة المسحراتى الانقراض، والمسحراتى يحاول ان يقاوم تغيرات العصر، لباسه يعود إلى القرن الماضى «الشروال والدكة» ويردد طوال رمضان اهازيج تصاحب تجوله فى المدينة وقد يخصص بعضها لمخاطبة الأطفال.

فى لبنـــان

عرف المجتمع اللبنانى شهر رمضان المبارك كمحطة روحية للعودة إلى الذات، ومحاسبة النفس على ما قامت به من خير وشر، والسعى إلى رضى الله وغفرانه من خلال الإلتزام بالصوم والصلاة، وإبراز أعلي مظاهر الاحترام والتقدير لهذا الشهر المبارك.

ولعل الإصرار على إبراز هذه المظاهر هو الذى أدى ويؤدى إلى اعتماد خطوات معينة للدلالة على الاهتمام بشهر الصوم، مما كرس المظاهر المذكورة عادات وتقاليد حياتية عند المسلم اللبنانى، زال بعضها وتجدد بعضها الآخر، فيما بقى الكثير منها ثابتاً، خصوصاً فى بيروت العاصمة الجامعة للمسلمين من شتى مناطق لبنان والعالم العربى، والصاهرة لعاداتهم وتقاليدهم جميعا فى بوتقة واحدة.

● فى بيروت

كان الناس فى بيروت يتنظرون شهر الصوم لإخراج زكاة رؤوس أموالهم مع زكاة الفطر، مع أن هذه الزكاة تفرض فى العادة بعد مرور حول كامل على رأس المال، إلا أن أحترام هذا الشهر دفع الناس لاعتبار إخراج الزكاة فيه ضرورة لكسب رضى الله.

هذا التسابق فى إخراج زكاة رؤوس الأموال انقلب ميزانه وتغيرت أشكاله، فبعد ما كان ظاهرة «شعبية» يقبل عليها الناس تحول إلى ظاهرة «رسمية» تدعو إليها المؤسسات الدينية والاجتماعية، فلجنة صندوق الزكاة التابعة لدار الفتوى أعتادت خلال السنوات الماضية على إصدار

كتيبـات خاصة تحدد الزكاة على رؤوس الأموال وتحض علـى دفعها فى رمضان، وكذلـك تفعل بقية الجماعـات الإسلامية والجمعيـات الخيرية، بعضها يصدر كتيبات وبعـضها الآخر منشورات مطبوعة، وفريق يكتفى بأن يشير على الإمساكيات الرمضانية التى تطبع وتوزع فى رمضان مجانا إلى أهمـية دفـع الزكاة. أمـا مـدى تجاوب الناس فى هذه المـرحلة، فهـو بالتـأكيد مـختلف تمامـا عن المراحل التـاريخيـة السابقـة، وإلا لتحقـقت الكفاية لجميع المسلمين كون إخراج الزكاة يحقق التوزيع العادل للثروات مجتمعياً.

●الخير الضرورى

وكـان الناس فى بيـروت القـديمة يصـرون فى وقت الإفطار على دعـوة الفـقراء والمسـاكين والعـابرين قرب دورهم إلـى الدخول وتناول طعـام الإفطار مـعـــهم، أو يقـومـون بـإرسـال البـعض من المـآكل والحلويات الرمـضانيـة التى يتناولـونها إلى أسـر الجيران من ذوى الدخـل البسـيط ليتحققوا من أن ما يأكلونه ذهب منه شيء لله.

هذا الاهتـمـام القديم بـالآخرين من الفـقـراء والمعـوزين وذوى الدخل المحدود تـغير وتبـدل أيضا، إذ أن المآدب الـرمضانـية تحولت مـن مآدب للفقراء إلى مآدب للأغنيـاء فقط. إذ تقدم كل جمعية أو مؤسـسة إنسانية أو سياسية علـى استئجار قاعات خاصة فى مطـاعم أو مراكز محددة، أو تفتح بعض قاعات مؤسساتها، إذا وجدت، وتدعو -بالاسم- عددا معينا

من الشخصيات المالية والاقتصادية والسياسية، المعروف عنها استعدادها لأن تدفع بدل ما تأكله «تبرعا» معينا يفوق بكثير قيمة ما يدفع ثمنا للمأكل التى تقدم. ويغيب عن حضور هذه المآدب أى من أصحاب الدخل المحدود، اللهم إلا إذا استثنيا الصحافيين الذين توجه الدعوات لهم طمعا فى تغطيتهم الإعلامية للمآذب وللكلمات التى تقال فى هذا المجال.

● الميقاتى

ومن المظاهر الرمضانية فى بيروت القديمة عملية إثبات اليوم الأول من شهر رمضان ففى تلك الأيام لم تكن وسائل الاتصال موجودة كأيامنا، فكانت عملية الإثبات تتم فى كل مدينة على حدة، عبر إنسان موثوق فى كل منها يسمي «الميقاتى» تقتصر مسئوليته على تحديد مقيات الصوم، ومن ثم مواقيت الإفطار كل يوم في أيام شهر رمضان، فكان لكل من طرابلس وبيروت وصيدا وبعلبك ميقاتى، ومن هنا نشأت فى هذه المناطق عائلات عرفت تاريخيا بهذا الاسم فى طرابلس وبعلبك وبيروت وأن تجمع أغلبها فى طرابلس وبيروت.

وتطورت هذه العادة فيما بعد، فصارت دار الفتوى فى الجمهورية اللبنانية تتولى هى مِسئولية تحديد يوم الصوم ومواعيد الإفطار والإمساك والصلوات الخمس عبر نشرة يومية تذيعها المديرية العامة للأوقاف الإسلامية، وتنسق دار الفتوى حاليا أمر تلمس هلال رمضان مع دول

العالم الإسلامى وفى طليعتها المملكة العربية السعودية.

وكانت العادة أيام زمان تقتضى إطلاق المدفع بإتجاه البحر للإعلان عن موعد الإفطار يوميا فى بيوت وطيلة شهر رمضان وكان المدفع أيام زمان موجودا فى محلة (تلة الخياط) حيث كان مقهى «"أبوالنور» أى فى مكان يوازى الموقع الحالى للقناة ٧ فى تلفاز لبنان. ومع الوقت تغيرت هذه العادة وتحولت إلى مجرد صوت يسمعه الناس فى الإذاعة والتلفاز وقت الإفطار ويكون مسبوقا بتلاوة آيات من القرآن الكريم ومتبوعا بصوت المؤذن يرفع آذان المغرب ثم دعاء، وبصوت أحد المذيعين أو المذيعات «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وبك آمنت وعليك توكلت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله يا واسع المغفرة اغفر لى» كما أن بعض وسائل الإعلام غيب حتى صوت المدفع واكتفى بالآذان فقط.

وكان سكان بيروت أيام زمان يهتمون كثيرا بما يسمى «سيبانة رمضان» فما هى هذه «السيبانة»؟

إنها عملية تجميع لأكبر عدد من أفراد العائلة من أعمام وأخوال وعمات وخالات وأبناء وأصهار والخروج جميعا فى آخر يوم عطلة قبل رمضان إلى مناطق البساتين والاخراج خارج بيروت، مزودين باللحم الجاهز للشواء، وبمعدات الشواء، والنراجيل، والفحم والتنباك، ومختلف أنواع الأشربة حيث يقضون اليوم بكامله فى أحضان الطبيعة يأكلون ما لذ وطاب، ويدخنون النراجيل ويروون للأطفال حكايات الجدات عن

رمضـان أيام زمـان وعند المساء يعـودون إلى بيروت من هذه الضـواحى ويتهيأون لبدء الصوم.

أما اليوم فـبالكاد تستطيع أية أسرة فى بيروت وحـتى فى لبنان كله، جمع الأبناء والأسهار على مائدة واحدة إذا كان الأمـر يشبه الرحلة الجماعية؟ والحقـيقـة أن «سيـبانة رمـضان» لم تعـد موجودة إلا لدى بـعض الأسر البيـروتية الفـقيـرة التى مازالت مـحافظة على عـاداتها وتقاليـدها وعلى تماسك أفرادها وتعاونهم، أما العـائلات المتوسطة والغنية فزال من عندها معظم العادات والتقاليد.

والختان أيضا..

وكانت العـادة فى بيروت التبـرك بهذا الشهـر للقيام بالعـديد من الأمور حتى فيمـا يتعلق بقضايا لا علاقة لها بالـصوم، ودرج المسلم البيروتى فى أيام زمان على الـقيام بالخـتان للمـواليد الجدد خـلال العام كله فى شـهر رمضان، إذ يأتى «المطهـر» ليقوم بهذا الختام، ثم يلبس المولود ثيـابا لامعة من القمـاش «الساتان الأطلس» باللون الأزرق ويحـمله الأب على يديه ليمـرره فوق مجمـرة من البخور فـيما فرقـة إنشاد نبوى أمـام الدار تقوم بقـراءة سيـرة الرسـول صـلى الله عليـه وسلم مع بعض الموشـحـات والأناشيـد وتوزع لفائف من القمـاش فيهـا بعض الملبس والحلوى على الجيران وأبنائهم.

اليوم لم تعد هذه العادة موجودة فى شـهر رمضان، وفرق الإنشاد النبوى التى كادت تنقـرض فى فترات سـابقة حين لم يبق منها إلا فـرقة يوسف

يموت، وفرقة ناجى عباس، وفرقة محمود شعر (مع حفظ الألقاب)، انبعثت من جديد مع بعض الحركات الدينية الجديدة وعادت لتملأ شوارع العاصمة طوال ليالى شهر رمضان المبارك بحفلاتها.

● الطبال

يعرف المسحراتى فى بيروت بالطبال، وتكاد هذه المهنة تنقرض ومع اتساع بيروت وتوزع سكانها على أحياء، حتى صار لكل طبال حى يطبل فيه لا يتعداه إلى غيره، حتى لا يضطر الناس إلى دفع أعطياتهم إلى أكثر من شخص.

يطوف الطبال بأزقة الحى، يقرع طبلته ذات الوجه الواحد بعصا رفيعة، هاتفا أو مادحا. ومن هتافاته: «يا نايم وحد الدايم».. ومن مدائحه التى يغلب عليها التطريب:

أحمد يا حبيبى.. سلام عليك
يا عون الغريب.. سلام عليك

أو التالى:

رمضان كريم.. رمضان كريم
شهر المحبة والإيمان
من قال: رب العالمين
شارك صيام المؤمنين..

أو التالى

قم يا نايم.. يللا تسحر
وسبح المولى الجبار
رمضان كريم على منور
يا ميت هلا بشهر الأنوار

ويحرص كل طبال على مدائح خاصة به، وعلى أنغام يحاول أن يبز بها أقرانه من الطبالين. وهو أبدا يخوض فى أزقة من الطبالين وهو أبدا يخوض فى أزقة بيروت، فى الليالى الماطرة الباردة، أو فى ليالى الصحو الدافئة، وكان يهتف بالناس بأسمائهم قبل أن تتسع بيروت ويزداد سكانها، وترتفع عمائرها فلا يبلغ صوت الطبال أسمال القاطنين فى الطبقات العليا، ويتعذر على الطبال حاليا مداعبة أناس يجهل أسماءهم اليوم لكثرتهم. وقد يرضى بالطبال أناس، ويضيق به آخرون فهو إلى جانب الثناء عليه، لا يأمن عبث العابثين، ولا ينجو من ماء يهرق على رأسه، أو زجاجة فارغة يقذف بها لأنه أزعج منام غير الراغبين فى السحور.

● وداع رمضان

ومادمنا تحدثنا عن فرق الإنشاد الدينى لابد لنا من أن نذكر أن ثمة عادة انقرضت فى بيوت الحديثة خلال شهر الصوم ألا وهى عادة وداع رمضان، إذ كانت فرق الإنشاد النبوى تطوف عند السحور فى شوارع بيروت وهى «توحش» لرمضان أى تقول «لا وحش الله منك يا شهر

الصيام.. لا أوحش الله منك يا رمضان» وتردد المدائح النبوية حتى تصل إلى الجامع العمرى الكبير فى قلب الأسواق التجارية وتحددت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فى أواخر رمضان للقيام بهذه المسيرة التى كانت تتقدمها فرقة الشيخ عبدالغنى الكوش لتصل إلى الجامع العمرى الكبير والناس يتبعونها جماعات جماعات وكلما دخلت حيا خرج أهله معها فيدخلون المسجد حيث يكون مفتى بيروت بانتظارهم للاحتفال بليلة القدر.

أما اليوم فصارت عمليات الاحتفال بلية القدر وفتح مكة وغيرهما من الليالى التاريخية فى رمضان تتم فى إطار المساجد وضمن جدرانها ووسط حضور بسيط أو كثيف حسب تدين أبناء كل حى أو عدم تدينهم.

.. سقى الله تلك الأيام، فقد كانت لرمضان عاداته، وللعيد عاداته، ولكن لعادات العيد التى انقرضت محطة هى القادمة.

● العيد فى بيروت

امتاز العيد فى بيروت بألعابه، فألعاب أيام زمان فى بيروت كانت كلها محصورة فى العاصمة بحرج بيروت الذى يلفظ محليا بـ«حرش بيروت» فيستبدلون الجيم بالشين.

كان الأطفال يجتمعون فى الحرج قبل يوم العيد للتفرج على عمليات تهيئة الألعاب ويغنون معا:

بكرة العيد ومنعيد
مندبح بقرة السيد
والسيد مالو بقرة
مندبح بنتو ها لشقرا
والشقرا ما فيها دم
مندبح بقرة العم
وبيت العم مابيريدوا
مندبح بقرة عبيدو
وعبيدو فردو بإيدو
والفرد هوى السيد
وبكرة العيد ومنعيد

ونشير هنا إلى أن الحديث عن بقرة بيت العم يرتبط باسم عائلة «العم» المسيحية التى كانت تمتلك مزرعة كبيرة للأبقار عند أطراف الحرج أما عبيدو فهو «عبيدو الأنكيدار» أحد قبضايات بيروت أيام زمان فقد كان من تجار السلاح.

اليوم تقتصر هذه الأغنية على أبناء بعض العائلات الفقيرة، أما العائلات المتوسطة فغابت عن أبنائهم هذه الأغنية، كما أن مفردات الأغنية تبدلت وما كانت لتحفظ لو لم تركز عليها ولسنوات إحدى الإذاعات الخاصة فى كل إطلالة رمضانية.

أما ألعاب حرج بيروت فتبدلت وتغيرت، وغابت كليا ما بين ١٩٧٥-

١٩٨٨ ثم ظهـرت بخجل خـلال عامى ٨٩-٩٠ وعـادت بصورة شـبه كاملة على يد بعض الجـمعيـات الإسلامية فى ٩٠-٩١ وشـملت حرج بيـروت وحديقـة الصنائع، ألا أن هذه الألعـاب باتت كلفـتهـا مـرتفعـة (٥٠٠) ليرة للعـبة ولمدة ٥ دقائق بعـد ما كانت ٥ قروش لنصف سـاعة، بحيث أن رب العائلة كان بمكانه إتاحة الفرصة لأطفـاله مهما كان فقيرا، أما الـيوم فصـارت المسألـة مكلفة له.. وهكذا غـابت أغنية الأطفـال فى العيد.

يا أولاد شرشربة يويو
عيشة المخطوبة يويو
يا مين خطبها يويو
شنشل ذهبها يويو
ودهبها غالى يويو
حقو مصارى يويو
مصارى العيد يويو
تكتر وتزيد يويو

وإذا ما غناها طفل نقلا عن أبيه أو جده، فـأنها لا تأخذ المعنى و المضمون اللذين كانت تأخذهما قديما، فعائشة هى الاسم النموذج لكل فتاة بيروتية كان يحلم بها شباب المدينة، فيما تخـتفى هى خلف عادات وتقاليد كثيرة تحفظ لها مكـانتها وتحفظ لنا نحن مـعشر الشباب حق الحلم بأن نـخطبها وأن نهديها الذهـب، كما غابت:

يا أولاد محارم يويو
شدو الأورام يويو
شاهين مامات يويو
بنات العيد يويو
تكتر وتزيد يويو

وصار حرج العيد خلال الأعوام الأخيرة مقصدا وفرجة لمن شاء تذكر أيام زمان التى يحكى عنها أهل بيروت، إلا أنه أصبح بلا أشجار صنوبر، والأهل غابت ذكرياتهم عن الواقع، فما عاد الشباب يهتمون لكرامة (بنت الحى) والدفاع عنها، بل صار حتى ابن الحى ينتظر العيد كفرصة للقاء بنت الحى بدل الحفاظ عليها! أما من لم يشأ التقيد بذكريات الأهل، وهم الأكثرية، فقد صارت لديهم ألعابهم الالكترونية الصماء التى تتضمن فى داخلها من ألعاب تثبت «الأنا» لدى الطفل، فيما غابت عن العيد العلاقات الأسرية. لقد بات من الصعب إستعادة مضامين أيام زمان.

● رمضان فى طرابلس

كم هى حلوة طرابلس التى زارها الشيخ محمد عبدالجواد القاياتى فى نهاية القرن التاسع عشر!

وصلها عشاء، ونزل ميناءها.. وخرج جناب الوالى إلى البر باحتفال كبير، إذ كان معه فى «الوابور» نفسه، وكان عمر أفندى الملا منتظرا علي

شاطيء، وركبورا جميعا «كروسة الترامورى» كما يركب سائر المسافرين، وانتقلوا من المينا إلى البلد بأجرة زهيدة: قرش واحد فقط للنفر.. ما جعل الشيخ القاياتى يقول: «هذا من مزايا طرابلس العظيمة».

وطرابلس فى نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى كانت تستقبل رمضان بأنواع الزينات التى كانت تمتد فى جميع شوارعها وساحاتها، فتقام مثلا الأعمدة الخشبية المزينة بالبيارق ورايات المدائح وترفع أقواس النصر المصنوعة بطريقة لافتة، فائقة الجمال والروعة، وتفرش الشوارع فى الأحياء وقرب المساجد والجوامع وفى الساحات والمنفسحات بالسجاد العجمى الأحمر اللون ويسارع معظم التجار فى الأسواق، خصوصا فى منطقة العطارين والصاغة والحدادين وقهوة موسى بالسجاد ويفرشه على أرض هذه المدينة الخيرة، إحتفاء بحلول شهر رمضان.

ولعل هذه الأجواء الاحتفالية، التى تدعو الناس صغاراً وكباراً إلى الابتهاج، كانت تظهر إجمالا وتتركز قرب المساجد بعامة، وقرب الجامعة المنصورى الكبير بخاصة.

والسهرات الرمضانية فى طرابلس معروفة لدى القاصى والدانى فى تاريخها البعيد والقريب كما يقول المعاصرون فأهل طرابلس يحبون السهر وكان الناس يسهرون حتى يحين موعد السحور، ولا يذهبون للنوم إلا بعد انقضائه، وبعد إتمام صلاة الفجر وبأداء فريضة الصلاة الأولى من اليوم التالى فى رمضان نرى الناس يخلدون للنوم وقد تحرروا من الذهاب إلى أعمالهم وأشغالهم مراعاة للظرف الرمضانى الخاص

كان الناس فى طرابلس يسهـرون أما في دورهم ومنازلهم أو خارج هذه الدور المنازل والسمة الغالبة أن يتحلق الناس فى السهرات وتقدم الأشربة والحلويات الرمـضانيـة للعمـوم فى جو إحـتفـالى بهيج يراعى الـشروط الدينية لخلقية وتتنوع المبادرات فى السـهرة الواحدة فهناك وقت للتراويح ووقت للتلاوة، وهناك وقت للفرح والغناء والتظرف.

وتتعدد الحلقات، فهناك حلقة للقراءة، وبجانبـها حلقة للشرح والتفسير، وحلقة للمراجعة والتذكير وحلقة للوعظ والإرشاد.

وتكون الدعـوات إلى السهـرات الرمضـانية فى المنازل إجـمالا دعـوات خاصة، تتوجه إلى أفـراد مخصوصين فتقتصـر على أفراد العائلة الواحدة وأقربائها وأنسبائها، وربما جاوز ذلك إلى الجيران والخلان.

أما السهرات الرمضانية خارج المنازل فكانت أكثر ما تحصل فى الأسواق والمقاهى والخلاوى وداخل أروقة المساجد وفى صحونها وباحاتها.

وكانت الأنوار تشعشع فى تلك الأمكنة من فوانيس يتبرع بها الأثرياء أو تقدمها دائرة الأوقاف أو الحاكمية التى تبسط سلطتها على المدينة.

وكثيرا مـا كان الحكواتى يتصدر المقهى الشعبى فـى السوق فيجلس على الدكة المشـرفة، ويجلس الساهرون أمـامه وحواليه، يسـتمعون إلى قـصة عنترة وأبى زيد الـهلالى والتعـزيبة، أو يقص عليـهم أخير الأولين، كـما وردت لدى الأخبـاريين والرواة. وتستقـبل طرابلس في رمضـان العديد من رجالات الدين، ويتذكر أهل طرابلس إلى اليوم اسـتقبالها فى أواسط الخمسـينيات فى شهر رمضـان المقرىء الشيخ مصطفى إسـماعيل الذى

قدم إليها من القاهرة وأستضافته دائرة الأوقاف وجمعية المكارم الأخلاقية وقرأ القرآن الكريم فى الجامع المنصورى الكبير وضم المسجد فى ذلك الوقت أكثر من عشرة آلاف رجل إذ سارع معظم أهالى طرابلس لسماع قراءته وتجويده والتف حوله المقرءون الطربلسيون أمثال الشيخ محمد صلاح الدين كبارة والشيخ نصوح البارودى، ومعظم الحفظة الكرام من الشيوخ الأجلاء.

ومن تقاليد هذا الشهر فى طرابلس، أن الجمعيات الدينية كانت تقيم إحتفالا فى يوم من أيام الأسبوع فى مربع الشاطيء الفضى، لجمع التبرعات من المحسنين ويكون ذلك مرة واحدة لكل جمعية طيلة شهر رمضان، فتدعو رجالات طرابلس وتجارها وأرباب المال فيها. وغالبا ما تكون هذه المآدب برعاية رئيس مجلس الوزراء حتى لو لم يكن من طرابلس وذلك حتى تتم لها الرعاية الدينية والمعنوية.

ويأذن رمضان بالرحيل تاركا فى قلوب الصائمين ألف غصة وهم يودعون الضيف الأنيس الذى بدد رتابة حياتهم طوال العام، فاستمتعوا فى ظلاله بأجواء عابقة بفيض من الروحانية والإلفة والتواصل.

وفى الأيام الأخيرة من رمضان تحرص مدينة طرابلس على تقاليد خاصة بها فضلا عن سنة الأعتكاف فى العشر الأواخر حيث يقضى المعتكفون الليالى فى التهجد والصلاة والتسابيح وتلاوة القرآن، وفضلا عن الحرص على إحياء ليلة القدر فى مساجد المدينة، فإن طرابلس تتمسك بثلاثة احتفالات اختصت بها دون غيرها من البلاد الإسلامية وهى:

١ - احتفال ختم القرآن:

فى غرفة الأثر الشريف الملاصـقة للجامعة المنصورى الكبـير يقام مجلس خاص لتلاوة القـرآن الكريم بكامله طوال شهر رمضان، يبـدأ بعد صلاة العصـر يوميا بإشراف شـيخ قراء طرابلس ويتناوب معه فى الـتلاوة عدد من المواظبين على حضور هذا المجلس، ويكتفى المتحلقون بالإنصات إلى التلاوة الصحيحة.

ودرج إحتفـال الختميـة منذ سبعة عـقود حين كان يتولى القـراءة المرحوم الشيخ عمر العريف، والمرحوم الشيخ على شيخ العرب، والمرحوم الشيخ نصـوح البارودى قـبل أن يتولاها الشـيخ صلاح الدين كـبارة فى الـعام ١٩٥١م.

وتتم الختمية فى احتفال مهيب عصر التاسع والعشرين من رمضان بأدعية وإبتهـالات دينية فى الاعتذار من هذا الشـهر الكريم وتمنى اللقاء سـريعا فى العام المقبل.

٢- زيارة الأثر الشريف:

والأثر الشريف هو بضع شعـرات منسوبة إلى الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلم أهداها السلطان عـبدالحـميد إلى طرابلـس تقديرا لولائهـا للدولة العثـمانية وذلك فى العـام ١٣٠٨ هجرية، فوضـعت فى علبة من الذهب الخالص وأرسلت مع أحـد الباشوات في فـرقاطة بحرية خـاصة وعندمـا وصلت إلى مـيناء طرابلس هرع أهالـى المدينة بطوائفـها كـافـة لاستـقبـالها وهى كـانت مهداة إلى جـامع التفـاحى الذى رممه السلطان

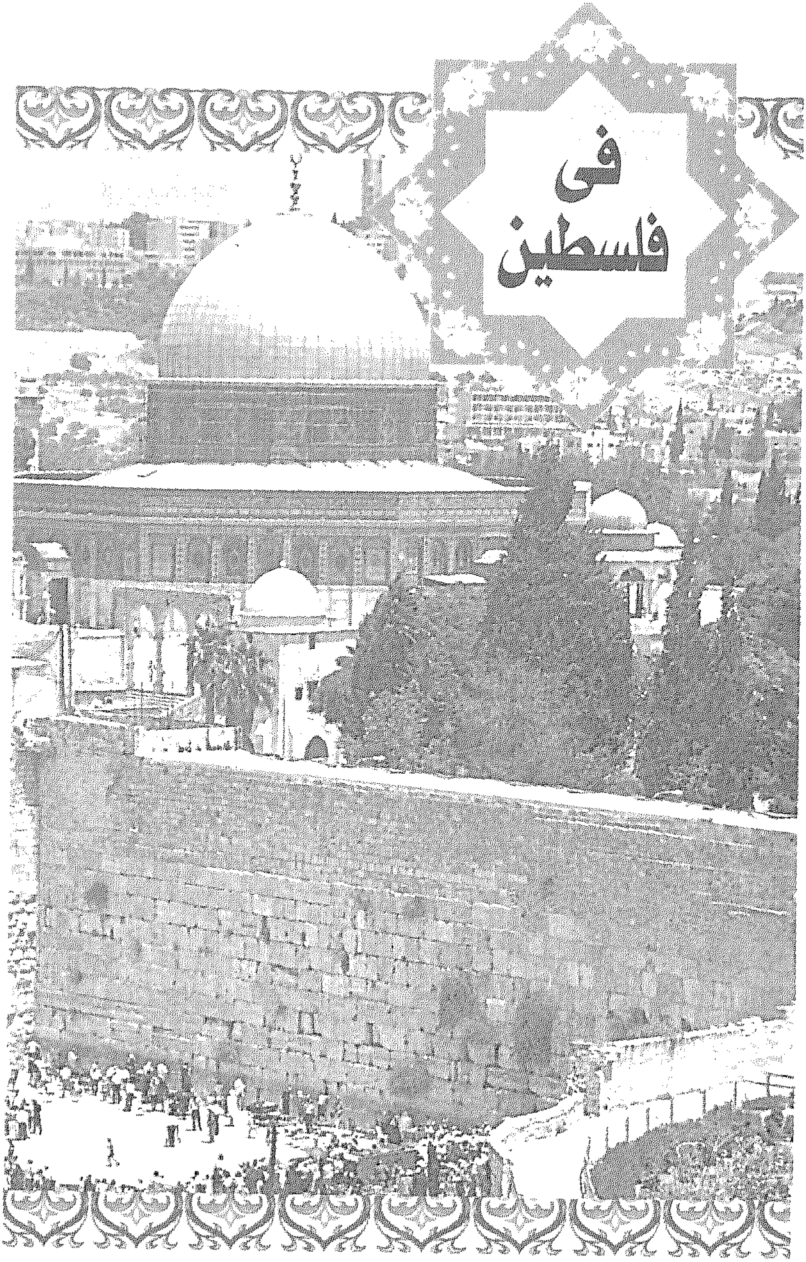
عبدالحميد فسمى بإسم الجامع الحميدى، لكن الشيخ على رشيد الميقاتى رحـمـة الله أقنع رجـالات المدينة بـأن يوضع الأثر الشـريف فى الجـامع المنصورى لكونه أكـبر مسـاجد المدينة ومنذ ذلك التاريخ والطرابلسـيون يحرصون بعد صـلاة الجمعة الأخيرة من رمضان أو فى خـتام إحتفالات ليلة القـدر على زيارة هذا الأثر الشـريف وطلبـا لاسـتشـعـار بعض من الصلة الروحانية. وسـط التكبير والتهليل وقرع النوبـات التى غصت بها باحة المسجد.

٣- ختم البخارى

واحتـفال رمـضانى آخر بـطرابلس يقام بعـد صلاة الجمـعة الأخـيرة من رمضان يجرى فى جامعة طينال الأثرى، إذ يتـولى الشيخ الدكتور محمد أكرم الخطيب- أستاذ الحضارة الإسلامية فى الجامعة اللبنانية- قراءة ختم صحيح البخارى من على سدة فى صدر المسجد، وتتخلل فصول الختمية أناشيد وابتهالات.

وكانت قراءة مجلدات صحيح البخارى الأربعة تبدأ من أول شهر رجب الخير من كل عام حتى الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وبدأ هذا التقليد في أواسط عـهد دولة المـماليك وهو تقلـيـد حـافظ عليـه آل الخطيب منذ حوالى ٧٠٠ سنة، بناء علي فرمانات صادرة عن دولة الممـاليك، كرستها فرمانات أخرى عثمانية فيما بعد، لاتزال فى حوزة آل الخطيب.

فى فلسطين



لرمضان أهمية خاصة لدى أهل فلسطين المحتلة، فالاحتفالات ممنوعة بأمر الحاكم العسكرى، والزينات ممنوعة، لكن صوت «الله أكبر» سرعان مايدوى مع الإفطار أو السحور فتتحول الدنيا حجارة على رؤوس المحتلين، فرمضان فى الأرض المحتلة قرآن وصلوات وانتفاضة مابعدها انتفاضة. كيف لا وهذا الشهر الكريم له أهمية خاصة لدى الفلسطينيين؟

فالانتصارات على المحتلين كانت تتم غالبا فى هذا الشهر. فصلاح الدين الأيوبى طرد الصليبيين من مدينة صفد فى رمضان عام ٥٨٤ هـ وقام فى الشهر نفسه من عام ٥٨٨ هـ بتحصين بيت المقدس وشيد الاسوار حوله، وقبل عشرين سنة وفى العاشر من رمضان قامت الحرب المظفرة التى أنهت التفوق الاسطورى لليهود حيث اقتحمت القوات المصرية خط بارليف بصوت «الله أكبر» بيد أن مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ وتشرد اللاجئين كان فى رمضان من ذلك العام، إذ كانت الطائرات المحتلة تغير على المدن والقرى الفلسطينية فى موعد الافطار، بالاضافة الى المجازر العديدة التى كانت تقوم بها العصابات المعتدية من أجل إرغام السكان على الهجرة.

يذكر الشيوخ اليوم إذ كانوا أطفالا قبل النكبة ذكريات عديدة يذكرون المسجد الاقصى وزينته ودروسه وصلاة التراويح فيه، كذلك مسجد الجزار فى عكا والحرم الابراهيمى فى الخليل، يذكرون ذلك ودموع الحزن فى عيونهم.

أمـا الجيـل الثانى الذى ولـد فى المخيـمـات أو فى المدن التى لم تحـتل فذكـرياتهم عن رمضان تختلف قـليلا. يذكرون الموائد الرمضـانية فى فلسطين والأكـلات الشـعـبية التى يـشتـهر بهـا السكان هنا لك مـثل «المقلوبة» والمنسف، وأنواع الحلوى مـثل الكنافة والقطـايف. يذكرون أناشيـدهم فى مدارس وكـالة الغوث وهم يودعـون رمضـان بحزن إذ يقولون:

لا أوحش الله منك يارمضان ياشهر القيام والإيمان

أما الجيل الثـالث جيل الانتفاضة فذكـرياته تختلف عن آبائه وأجداده، ذكرياته دروس فى مساجـد الاحياء، أدعية مختـارة، حجارة تنطلق مع صوت «الله أكـبر»، ذكريات أزعجت المحـتلين أيما إزعاج، فـقد ظن المحـتل أن الجيل الـثالث سـينسى وطنه، لكنهم فـوجـئوا بـحبـهم له، وعرفوا مصدر ذلك: إنه المسجد، والإيمان، وإنها الصحوة.

فيذكر الجيل الثالث حفظ القرآن وتلاوته، وتعلقهم بالمساجد ودروسها من فقـه وتوحيـد وسيـرة وتاريخ وغيرهـا. فينزلون إلى الشـوارع بعد السـحور وهم يحـملون بأيديهم الحـجـارة ليتـرقـبوا دورية عـسكرية ويرجمـوها مع «الله أكبـر». تعلموا أناشـيد غـير التى تعلمـها آباؤهم وأجدادهم، مثل:

خيبر خيبر يا يهود   جيش محمد سوف يعود

ثورة ثورة على المحتل   بغير المصحف مافى حل

لكنهم حرموا من التمتع بذكريات رمضان، فالمسحراتى لم يعد يتجول

ليوقظ الناس بسبب منع التجول، وألعابهم وأناشيدهم حرموها، وحتى أصوات مدافع رمضان منعت مراعاة لشعور المستوطنين، ومكبرات الصوت نزعت من المآذن، لكن الشباب منهم عرفوا معنى رمضان وحكمته، عرفوا الجهاد والصبر وتعلموا أن النصر يأتى بعد الصبر.

القدس.. صورة قديمة

القدس.. ليست مجرد مدينة من عشرات الألوف من مدن الارض ولكنها رمز من رموز الاسلام ومن هنا تأتى أهميتها ولعله ليس من بلدان الدنيا بلد يحق ان تفاخر بما حوته من مقدسات كمدينة بيت المقدس ومظاهر الاحتفال فيها فى العصرين المملوكى والعثمانى نراها فى صورة قديمة ننقلها للقارئ عبر صفحات كتابات المؤرخين والرحالة.

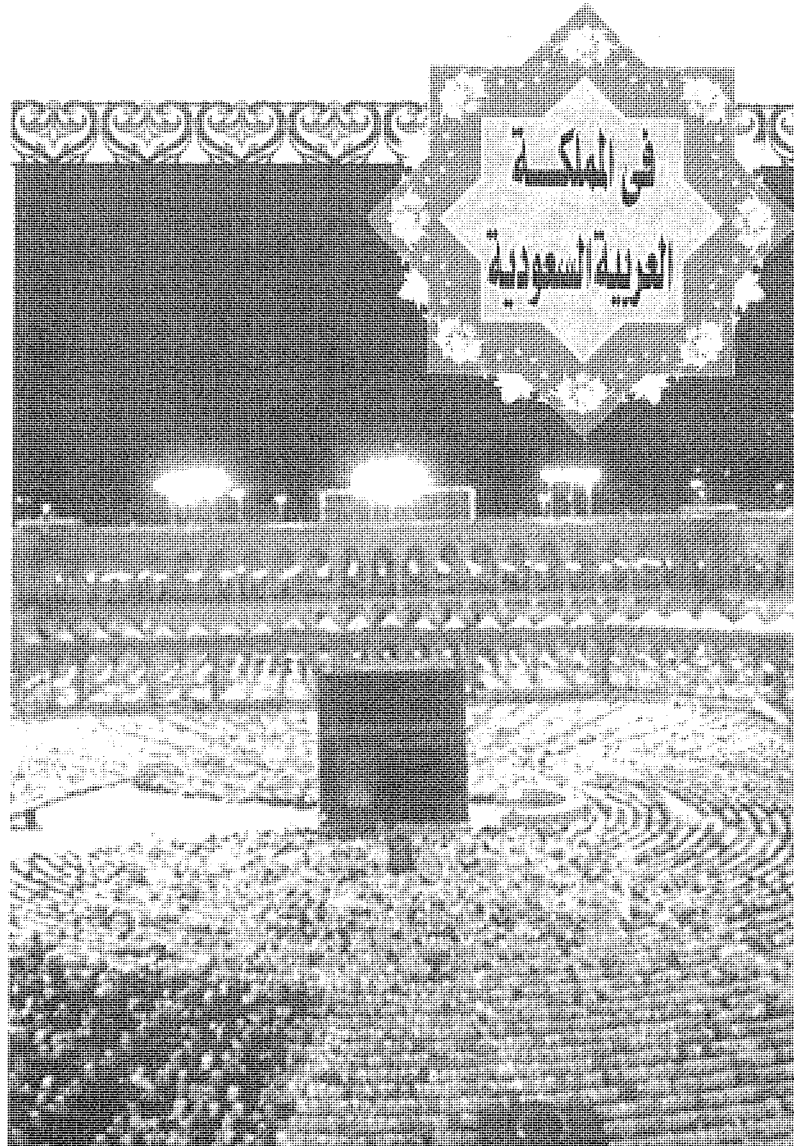
وطوال شهر رمضان ولياليه تقام صلاة التراويح بالمسجد الاقصى وقبة الصخرة وعند ابواب الحرم وكان اكثر سكان القدس يحضرون هذه الصلاة كامل شهر رمضان حتى ان عددا من الائمة بداخل الاقصى وقبة الصخرة وعند ابواب الحرم كانوا لايقومون بوظيفتهم إلا فى صلاة التراويح طوال شهر رمضان فقط وهذا يؤكد لنا أن المسلمين فى القدس كانوا يحتفلون فى بيت المقدس بهذا الشهر احتفالا كبيرا يتفق ومكانة هذا الشهر الدينية لديهم والحقيقة ان المصادر والمراجع التى بين ايدينا تسهب فى وصف ما كان عليه رمضان فى المدينة المقدسة.

وكان أهل المدينة يحتفلون بليالى رمضان اما باحياء لياليه بتلاوة آيات

من القرآن الكريم أو ببعض وسائل السرور مثل دق الطبول إلى غير ذلك من الوسائل وكان رمضان فرصة طيبة للاكثار من الصدقات واطعام الفقراء ومن مظاهر التوسعة فى ذلك الشهر الكريم ماذكره المؤرخون وورد فى الوثائق المملوكية والعثمانية والتى تمثل حجج الوقف للمنشآت فى هذين العصرين، صرف رواتب اضافية لارباب الوظائف وطلبة العلم والايتام بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم فضلا عن ان التوسعة ربما قد شملت صرف كميات اضافية من السكر نظرا لان كمية المستهلك منه تتزايد فى هذا الشهر بسبب الاكثار من عمل الحلوى.

لقد كان عدد العلماء بالقدس كبيرا فاذا قارنا هذا العدد من العلماء والفقهاء بالنسبة لعدد سكان المدينة لتأكدنا ان العلوم الدينية بوجه خاص قد حظيت بسهم وافر فى تلك البيئة التى يغلب عليها الطابع الدينى مما جعل هذه المدينة إحدى المراكز الخصبة للفكر الإسلامى طوال العصر المملوكى وكذلك العصر العثمانى.

وتقبل الجموع الغفيرة التى اتسمت بالخشوع وبإن الخضوع والتقوى عليها لسماع مجالس العلوم بالمسجد الاقصى ومنها من كان يحيى الليل بالسماع والعبادة وبختم القرآن الكريم. تلك بعض مظاهر الحياة فى رمضان فى مدينة لاتطفئ قناديلها الا قبيل طلوع الفجر فى شهر رمضان.


فى المملكة
العربية السعودية

ولرمضان جوه الروحى المميز والخاص فى المملكة العربية السعودية.. وإذا كان شهر رمضان.. بل ومن مكان إلى آخر.. فهو مختلف فى المدينة عنه فى القرية.. مثلا.. اذا كان الأمر كذلك فإن هذا الاختلاف الذى نعنيه إنما يختص بمظاهر الاستعداد لقدوم رمضان.. ويتصل بالعادات والتقاليد.. أما الجانب الروحى فهو واحد.. وذلك أمر بديهى.. لايعتريه تغير ولا يصيبه تغيير أو اختلاف.

وسنعرض عرضا سريعا لرمضان فى المملكة.. فى بعض المناطق ولنبدأ بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة.. تزدحم بالزائرين كل عام.. منذ دخول الشهر المبارك.. ويشتد هذا الزحام خاصة فى العشر الاواخر منه.. حيث يستمتع الجميع بالجو الروحانى الذى يسود بلد الرسول صلوات الله وسلامه عليه. ومن عادات الاسر خلال هذا الشهر الكريم ان الصائم يخرج من منزله قبل آذان المغرب بقليل مصطحبا أولاده فوق سن العشر سنوات.. ومعهم بعض الفاكهة والتمر والقهوة العربية.. وبعد آذان المغرب.. يفطرون على ما معهم ويصلون فريضة المغرب.. ثم يعود الابناء الى البيت على حين يبقى الأب حتى يفرغ من أداء صلاة التراويح.. التى يأخذ بعدها قسطا من الراحة ليعود مرة أخرى لأداء صلاة التهجد التى تستمر حتى الثالثة من بعد منتصف الليل تقريبا.

ومن المظاهر التى كادت تختفى والتى لا نستطيع أن نقف عليها إلا فى نطاق ضيق فى بعض الاحياء الشعبية.. ما يتصل بخروج الاطفال فى

مجموعات ينشدون الاهازيج الجميلة مستعينين في ذلك بالطبول والعصي وهم يدورون على المنازل يقرعون ابوابها ليحظوا بالحلوى والفشار والمشبك. وتقسيمها فيما بينهم.. ويمضون من بيت إلى آخر. كان هذا من المظاهر المتصلة بالعادات والتقاليد قديما، وسرعان ما أخذت في التلاشي بسبب العمران واتساعه.

وفي مكة المكرمة

وفي مكة المكرمة.. ومع إطلالة العشر الأواخر من شعبان تستعد كل أسرة لإستقبال الضيف الغالي العزيز.. فيكون التزود بالحاجيات الأساسية،.. ويميز الشهر الكريم ذلك التواصل الأسري.. حيث تتجمع الأسر والجيران للتسامر وسماع الأحاديث الدينية والقرآن الكريم.

وعادة ما يتم شرب الشاي والقهوة بعد أداء صلاة المغرب.. ثم يستعد رب الأسرة وأبناؤه للذهاب الى المسجد الحرام لأداء صلاة العشاء والتراويح.. كما يؤدي بعض تلك الفرائض والنوافل في المساجد المختلفة.

وهناك ما يميز البيت المكي في طبقه الرمضاني.. والذي يتكون من الشوربة والسمبوسة والهريسة والفول. وأكثر من صنف من اللحوم اضافة الى أنواع الحلوى الأخرى.. كالمهلبية وقمر الدين وشراب السوبيا.

وهذه صورة جميلة رائعة لإهتمام أهل الحرم بالقرآن الكريم وحفظه

وتلاوته.. هذه الصورة نـنقلها من الماضى حيث يحـدثنا ابن جبـير عن رمضان فى مكة المكرمة:

فيقول: «وكل وتر من الليـالى العشر الأواخر يختم فيهـا القرآن فأولها ليلة احدى خـتم أحد أبناء أهل مكة وحضرالخـتمة القاضى وجـماعة من الأشيـاخ فلما فـرغوا قـام الصبى فيـهم خطيبـاً ثم استـدعاهم أبو الصبى المذكور الى منزله إلى طعام وحلوى وقد اعدهما واحتفل فيهما ثم بعد ذلك لـيلة ثلاث وعشرين وكـان المختم فـيها أحـد أبناء المكيين ذوى اليسـار غلاما لم يبلغ سنة الخمس عـشرة سنة فاحتـفل أبوه لهذه الليلة احتفـالاً بديعاً وذلك أنه أعد له ثريا مصنوعة من الشـمع مغصنة قد انتظمت فـيها أنواع الفواكة الرطـبة واليابسة واعد لهـا شمعا كـثيراً ووضع وسط الحرم شـبيه المحـراب المربع اقيم على قـوائم اربعة تدلت منه قناديل مسرجـة واحاط دائر المحراب بمسامير مـدببة الاطراف غرز فيهـا الشمع واوقدت الثريا المغـصنة ذات الفواكة وامعن فى الإحـتفاء هذا الأحتـفال ووضع بمقربة من المحراب منبـر مجلل بكسوة مـجزعة مختلـفة الألوان وحضر الإمام الطفـل فصلي وختم وقد مـلاء المسجد بالرجال والنسـاء وهو فى محرابه رافـلا فى افخر ثيـابه فاستقـبله احد سدنة المسـجد واوصلة الى ذروة المنبرر فـاستوى مـبتسمـا واشار على الحاضـرين مسلمـا وجلس بين يديه قراء فـابتدروا القراءة عـلى لسان واحد فلمـا اكملوا عشـر آيات من القرآن الكريم قام الخطيب فـصدع بخطبـتـه وبين يديه فى درجـات المنبـر نفـر يمسكـون الشـمع بايديهم

ويرفعون اصواتهم «يا رب.. يارب، عند كل فصل من فصول الخطبة يكررون ذلك والقراء يبتدرون القراءة فى أثناء ذلك فيسكت الخطيب الى ان يفرغوا ثم يعود لخطبته مشيرا الى البيت العتيق عند ورود اسمه ثم ختمها بتوديع شهر رمضان المبارك. وترديد السلام عليه والدعاء للخليفة.

فى جدة

مع بداية شهر رمضان تشهد اسواق جدة خصوصا منطقة وسط المدينة التي تضم جدة القديمة ازدحاما ملحوظا، وتزدهر مبيعات منتجات معينة كالهيل والشاي والبن والأرز والفول ويقبل الناس علي الاجتماع في جلسات موسعة في المنازل او المقاهي الشعبية يتسامرون ويتزاورون والمتجول في منطقة وسط جدة، لابد ان يلاحظ ازدحاما شديدا قبيل موعد الافطار امام محلات بيع الفول واشهرها فى جدة «القرموشى» و «الغامدى» وقبيل انطلاق مدفع الافطار بساعة تزدحم منطقة شارع مكة والشرفية وشارع الملك عبدالعزيز ومنطقة باب مكة والنورية وشارع العلوى، وهى معروفة ببيع أكلات مشهورة كالالماظية والكستر والقمر الدين والسنبوسك واللحم والشوربة والسوبيا والتمر واللبن التى تتضاعف كميات استهلاكها فى هذا الشهر. وتفضل العائلات بجدة بدء الافطار بما يسمى «فك الريق» بحبة تمر وفنجان قهوة عربى وقليل من الشوربة، ثم الذهاب الى صلاة المغرب والعودة لاكمال الإفطار الذى يكون

خفيفاً، اذ أن الوجبة الأساسية العشاء وتضم كافة اصناف الطعام والحلوى وليالى رمضان فرصة لكى يسهر أولاد البلد ويجتمعون فى مجموعات «بشكات» للمسامرة ومشاهدة برامج التلفاز المحلى وشرب القهوة والشاهى، وفى هذه الليالى تزدهر مراكز عمد الأحياء، ويسهر عمد مناطق حارة الشام وحارة المظلوم وحارة اليمن وحارة البحر وحارة العيدروس لمباشرة أمور مواطنيهم وانهاء معاملاتهم، وينتهى نشاطهم مع آذان الفجر، وهم يحرصون على صلاة الصبح جماعة فى مساجد حاراتهم.

وفى جيزان

فإن طبيعة اليوم والحياة فى رمضان تبدأ بمظاهر شيقة.. فبعد صلاة العصر يقوم الأباء والأبناء بالذهاب الى ضفاف البحر للاستمتاع بالنسمات الباردة وقرب الغروب يتسابق الجميع لاستضافة الأهل والفقراء.. ثم يذهبون بعد ذلك الى صلاة المغرب جماعة ويعودون الى موائد الافطار التى تضم «الشوربة - والسمبوسة - والمهلبية وكذا شرب القهوة القشرة الحلوة أو القهوة البن أو الشاى المطعم بالشمطرى الوارد من ربوع جيزان».

وعند صلاة العشاء يسرع الجميع لأداء الصلاة وصلاة التراويح.. وبعد الانتهاء من الفروض والنوافل تكون العودة الى طعام العشاء المكون من المرسة والكبة والحوت والمسقط وغيره.

ومن المظاهر التراثية التي نقف عليها.. قيام الصبية ببعض الألعاب

والمتوارثة مثل شد الحبل- الدسيس- الشقلة- الغميضة- السارى- كرة القدم والطائرة والسلة.

ومن خلال إطلالة سريعة على الأسواق وحركة البيع خلال شهر الكريم فإننا نستطيع أن نقول إن اسواق المملكة تشهد حركة نشطة للغاية.. وخلال الشهر المبارك تتغير مواعيد البيع والشراء.. ومع تدفق مئات المشترين ينقلب ليله نهاراً.. فالمحلات تفتح أبوابها حتى ساعة متأخرة من الليل.. ويواكب التجار تلك الحركة النشطة حيث يحرصون علي زيادة بضائعهم والتنويع فيها.

ينسحب هذا على معظم ان لم نقل كل المحلات التجارية الشعبية المتنوعة حيث يسودها عبق التاريخ الذى ينطلق من كل زاوية.. وهناك مظهر اخر من المظاهر المميزة خلال هذا الشهر.. يتمثل فى انتشار البسطات التقليدية المتميزة خاصة فى جدة - عروس البحر الأحمر.. تلك البسطات التى تقدم الأطعمة والمشروبات التقليدية والمفضلة خلال رمضان.. خاصة الحلويات.. كالكنافة والبسبوسة والطرمية والسمبوسك ومن المشروبات كالسوبيا والتوت والفراولة والزبيب.

فى
اليمـن

تكاد تكون المظاهرة الرمضانية فى جميع مناطق اليمن متشابهة حيث تبدأ الاستعدادات لهذا الشهر من الايام الأخيرة من شهر شعبان فتزدحم الاسواق بالناس لشراء المواد الغذاية معتقدين أن شهر رمضان لا يتحمل عناء البحث عن هذه السلع وما ان يبدأ اليوم الأول من هذا الشهر الفضيل حتى تبدأ مظاهر الحياة بالتغيير تماما فتتحول حركة الحياة من النهار الى الليل وتبدأ الحركة فى الشوارع فى الساعة الحادية عشر قبل الظهر حينما يبدأ الموظفون بالتوافد على مقار اعمالهم يكون عادة فى شهر رمضان عملهم أربع ساعات فقط حيث ينتهى الثالثة بعد الظهر وتشهد شوارع المدن اليمنية ذروة ازدحامها فى الدقائق التى تسبق موعد آذان المغرب حيث يهرع الناس عائدين إلى منازلهم للفطور بعد أن يكونوا قد قاموا بجولات أو كما يسميها الصنعانيون «الدورة» الى خارج المدن بسيارتهم و«الدورة» من الأمور المألوفة فى شهر رمضان حيث يصطحب رب الاسرة أهله بجولة قبل الفطور بينما تبقى النساء فى المنازل لاعداد الفطور.

الفطور

ويحرص اليمنيون أن يؤدوا صلواتهم فى شهر رمضان فى المساجد وتشهد المساجد حضورا ملحوظا منذ صلاة الظهر ويعتكف البعض

لتلاوة القرآن حتى قدوم صلاة المغرب والكثير من الناس يتوجهون معهم فطورهم الاول الذى يوضع فى الساحات الخارجية من المساجد.. ويجلس الصائمون فى دوائر صغيرة حول موائد الفطور المكون من التمور.. والسنبوسة.. والباجية.. والحامضة وهى خليط من الحلبة والليمون والخل والطماطم كما تكون ضمن وجبة الفطور الشفوت وهى وجبة يمنية مشهورة يتناولها اليمنيون فى شهر رمضان البعض يتناولها قبل صلاة المغرب والبعض بعده.

وجبة العشاء

ويركز اليمنيون فى وجبة العشاء التى يتناولونها عقب صلاة المغرب على اللحوم وبالذات لحوم الاغنام والخرفان.. والعجول.. ويقل الطلب على لحوم الابقار غير انه فى الفترة الاخيرة ونظرا لارتفاع سعر اللحم الضأن فان الكثير من الاسر تضطر الى شراء اللحم البقرى.

ويكون بجانب اللحوم أنواع أخرى من الاطعمة مثل «العصيد» وهى وجبة شعبية تتناولها معظم الاسر اليمنية وهى خليط من الماء والدقيق ويصب عليها المرق والسمن البلدى وهناك وجبة شعبية يحرص معظم الناس على تناولها وخاصة فى المناطق الشمالية من اليمن وهى «السلتة» وهذه الوجبة مكونة من الحلبة والخضر واللحم

المفروم والتوابل واحيانا يخلط معها البيض ولا يخلو منزل يمنى فى صنعاء وبعض المناطق الاخرى من هذه الوجبة الى جانب اصناف اخرى من الطعام.

اما الحلويات فهى مادة اساسية وهامة بعد العشاء ويزداد الاقبال على شرائها وتزدحم محلات بيع الحلويات قبل المغرب بالكثير من المشترين وبعض الاسر تصنعها فى المنزل واكثر انواع الحلويات شهرة هى «الروانى».. وبنت الصحن.. والكنافة بينما يركز سكان المحافظات الجنوبية والغربية وخاصة تلك الواقعة على البحر فى وجبة العشاء على الكبسة وهى مكونة من الارز واللحم الى جانب السمك ويفضل سكان حضرموت تناول السمك المجفف اما الحلويات فأشهرها الهريسة.

السهرة

وما أن يفرغ اليمنيون من تناول وجبة العشاء والانتهاء من صلاة التراويح حتى تزدحم الاسواق بالمتسوقين وتشهد بعض الاندية الثقافية والرياضية تجمعات ليلية تستمر حتى قرب الفجر لمناقشة بعض القضايا الفكرية ولممارسة بعض الانشطة الرياضية.

وفى المناطق الساحلية تفضل الكثير من الاسر قضاء السهرة خارج البيت فى نزهة قرب الشاطئ أو فى الحدائق.. وما ان يحين وقت

السحور والذى يكون قرب الفجر حتى تستعد ربات البيوت لصنع السحور الذى غالبا ما يكون من «الفتة» وبعض الحلويات وتبدأ المطاعم هى الاخرى بتجهيز وجبة السحور التى عادة ما تكون من الخبز والبيض واللحم المفروم وتخلط بالبنصل والطماطم وتسمى الطبقية وهى تشبة «البيتزا» الايطالية.

في صنعاء

فى صنعاء رمضان يختلف عن العالم الاسلامى كله فكل مكان بها يحمل عبق التاريخ وذكريات من الماضى القريب ففى العشرين من شهر شعبان تتوافد القبائل من ضواحى مدينة صنعاء قاصدة أسواقها المختلفة لشراء حاجيات رمضان.. فالاسواق فى مثل هذه الايام تكون قد امتلأت بكل ما يحتاجه الانسان فى هذا الشهر ونظرة واحدة من خلال «الباب الكبير» وهو اكبر ابواب مدينة صنعاء تلفت الانتباه لتزاحم الناس وتداخلهم فذلك يشترى الحب «الذرة، الشعير، القمح، الرومى».. وهذا يشترى البهارات والحوائج «الثومة - البصل - الحلبة المطحونة - الكمون - السعتر) وآخر يتساوم مع البائع لشراء سلعة معينة وهكذا.. ظاهرة الخل تنتشر بشكل واسع فالخل اليمنى المصنوع من الزبيب الحامض يعتبر من الاساسيات فى وجبات رمضان حيث يخلط مع الحلبة ويتم الافطار به.. محلات

كثيرة لا تـفتح إلا فى هذا الشهر وتبقى مقـفلة طوال العام والغريب ان هذه المحلات الموسـمية تجلب رزق بقيـة العام مما يدل على تزاحم الناس على الشراء.. آخـرون فى أسواق البزور المخـتلفة والتى تزداد بالاقمشة الملونة والملابس الفاخرة والبسيطة فكثير من القبائل تشترى حاجيات عيد الفطر مع حاجيات رمضان.

وقـبل رمضـان بثلاثـة ايام اى فى ليالى السـابع والعـشرين والثـامن والعشرين والتـاسع والعشرين تبدأ مآذن صنعاء بالتـرحيب بالضيف الحبيـب فما ان يعود الناس الى بيـوتهم بعد آداء صلاة العشـاء حتى تبدأ الحناجر المؤمنة تغرد فـرحة برمضان.. فتبدأ مئـذنة الجامع الكبير أقـدم واكبـر جوامـع المدينة فى التكبـير وتلحـقـها مـرددة كل المآذن الشامـخة بالتهـليل بالعبارات التـالية «يا مـرحبا بك يا رمـضان.. يا مرحبا بك يا رمضان.. يا شهر الخيـر والبركات والغفران.. يا مرحبا بك يا رمضان» هذه العبارات تردد بصـوت شجى ومؤثر يتردد صدا هى الصـوت فى كل الجـبال المحـيطة بصنعـاء ابتـداء من جـبل نقم وانتهـاء بجبل عيـبان مرورا بكـل الجبال والتـباب المحيطة امـا اليوم الذى يكون قبلَ رمضان فله تسمـية فى صنعاء وهى «يوم يا نفس ما تشتى» وتعـنى هذه التسمـية «مـاذا تريدن ايتها النفـس فى هذا اليوم والذى سيكون اخر ايامنا العادية وسيأتى فى هذا اليوم الذى سيكون

آخر أيامنا العادية وسيأتي بعد ٥ ايام تختلف تماما عن هذه الايام ان الايمان فيها يكبد ويتصاغر النفاق والفسق».. وفى هذا اليوم يكون للاطفال حياة سعيدة مرحة فهم يتنقلون عبر الحوارى والأزقة يحملون الحلوى وقطع السكر مرددين بلحن حبيب نشيد بسيط بكلماته ولكنه يحمل معانى الفرح «يا نفس ما تشتى قد غدوة الصومة... يا نفس ما تشتى قد غودة الصومة» يتخلل هذه الاهازيج تواشيح ودعاء الى المولى عزوجل من تخرج من حناجرهم البريئة «يا رمضان يا بوالحمائم.. ادى لنا قرعة دراهم» اى يا رب رمضان الكريم.. رمضان الحمائم ارزق والدى رزقا طيبا ليكون مصروفا طوال الشهر الكريم.

وتبدأ فى ليلة اخر يوم من شعبان ملامح الشهر المبارك ففى الايام العادية من غير هذا الشهر اعتادت المآذن ان تملأ الكون بالتسبيح من قبل اذان الفجر بثلاث ساعات لتوقظ الذين يريدون ان يقيموا الثلث الاخيرمن الليل وبالصلاة وتشعرهم ببدايته.. اما فى هذه الليلة فان المساجد جميعها تسبح لله ثلاث مرات مع بداية الثلث الاخير وفى منتصفه والتسبيح الاخير قبل آذان الفجر بربع ساعة من الزمن وهذه التسبيحات الثلاث تقابل اذان الفجرالاول» ومع التسبيحة الثالثة يخرج الناس من بيوتهم متجهين لاداء صلاة الفجر وتمتلئ المساجد بالمصلين.

وفى صنعاء اعتاد اهلها ان يناموا طوال الصباح وحتى قبيل الظهر ومقدار ساعات النوم تختلف بين الرجال والنساء والاطفال فالرجال فى العادة وخاصة عند التجار واصحاب الحرف ينامون حتى قبل آذان الظهر..ثم يقوم الرجل من أهل صنعاء لشراء متطلبات اليوم.. ويعود بعد آذان صلاة الظهر.. ليخرج من منزله وهو يحمل مصحفه الخاص وكرسى مصحفه وفى الغالب يكون هناك مصحف مخصص لشهر رمضان ويكون من الحجم الكبير وحتى المساجد فانها فى شهر رمضان المبارك تفتح خزائنها المليئة بالمصاحف الكبيرة والجميلة التى أوقفها اصحابها للقراء فى هذا الشهر.

وبعد أن يؤدى الرجل صلاته فى المسجد يتخذ له مكانا فيه وعادة ما يكون لكل شخص مكان يجلس فيه طوال شهر رمضان يتلو فيه القرآن.. ويذهب اغلب اهل صنعاء الى الجامع الكبير فيمكثون فيه حتى صلاة العصر ويحرص على ذلك وجهاء المدينة وكبار تجارها والمسئولون فيها وعلماؤها.. ويخرج اهل صنعاء الى المسجد وكل منهم يحمل وعاء فيه سلطة وحلبة حامضة «مصنوعة بطريقة خاصة» مع رغيف من الخبز المصنوع داخل البيت.

وغالبا ما يحمل هذا الفطور الاولاد الصغار.. وفى المسجد يتجمع الناس على شكل حلق عديدة ويفطرون جماعيا والفرد الواحد يضع

فطوره مع اى حلقة ويجلس معهم والذى يصل المسجد وليس لديه فطور فانه يلقى الترحيب من اى مجموعة من الناس يفطرون فكل واحد منهم يريد تقديم الفطور له ليفوز بالاجر الموعود لمن فطر صائما.

وبعد عشرة دقائق تقريبا من اذان المغرب يقوم الناس لاداء الصلاة وتكون المساجد مزدحمة حتى انها لا تسع المصلين وتكون صلاة المغرب هذا الشهر خفيفة فبعد الصلاة يتسارع الناس نحو منازلهم لتناول طعام الافطار مع بقية افراد اسرهم.. يكون طعام العشاء فى هذا الشهر محتويا على العديد من الاصناف المختلفة واهم اصناف العشاء فى رمضان هى الحلبة الحامضة الشغوت مع السلطة، الفتوت على السمن، اللحوح والمرق واللحمة والمهلبية واحيانا الطبيخ والحلبة المخلوطة بالمرق ثم الفواكه وتناول القهوة بعد آذان العشاء يخرج الرجال لآدائها والسهر خارج المنزل وقبل الثلث الاخير من الليل يذهبون الى المساجد ويتفرغون لقراءة القرآن حتى يأتى موعد السحور ويسميه اهل صنعاء احيانا بالغذاء ويكون عادة من الحلبة البيضاء أو العصيد والمطيط وكثير من الناس يصنعون خبزا معجونا بالسمن والبيض ويتناولونه على قهوة فى السحور ويسمى «بالذمول» بعد تناول السحور يخرج الرجال من جديد لاداء صلاة الفجر.

الاطفال فى رمضان

اما الاطفال فى صنعاء فيقضون اوقاتهم بشكل مختلف فهم ينامون غالبا فى منتصف الصباح وخاصة الذين يقل اعمارهم عن العاشرة ويخرجون الى الشوارع والازقة الخالية فيمرحون ويلعبون كيفما شاؤا.. وفى رمضان للاطفال العاب موسمية فى هذا الشهر يلعبونها لانهم لايصومون.. واذا صاموا فانهم يصومون عادة نصف نهار ثم يعودون الى منازلهم ليأكلوا ما أعد لهم من طعام.. وعادة ما يكون طعاما.. ليس على مستوى طعام الغذاء والآباء فى صنعاء يعودون الاطفال على الصوم لمدة نصف يوم أو ربع يوم ويقولون للطفل انه بامكانه ان يصوم نصف نهار وحتى الظهر ثم يأكل ووالدته أو والده سوف يلفقون له لسانه بعد أكله وهكذا يتوهم الطفل انه بامكانه الصوم كالكبار ويفطر معهم فى المسجد ويتناول معهم طعام العشاء وهذه وسيلة تربوية تعود الطفل على الصيام حيث ان الكثير من الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم نجدهم يصومون طوال الشهر بل ويصرون على الصوم.

اما المساء عند الاطفال فهو اجمل أوقاتهم وامتعها فهم متعودون فى غير رمضان أن يظلوا طوال الليل فى بيوتهم اما فى رمضان ففى امكانهم الخروج للعب فى الخارج لوقت طويل.. ومنذ فترة كان الاطفال يتجمعون مجموعات يبنون لانفسهم مكانا فى حوش احد

البيوت ويتخذونه مكانا للسمر فى شهر رمضان ويسمى المحراس وقد اعتاد الاطفال ان يتجمعوا من بعد صلاة العشاء ويطوفون بالبيوت ويقفون على بابها وينشدون اناشيد جميلة يقولون فى بعض كلماتها «يا مسى جيت أمسى عندكم يا مسى اسعد الله المنى..»

ويقولون كذلك حسين حسين يا حسين يا ناوش القعشتين والقعشتين راوية أروى من الساقية.

وقد تعودّ الناس عندما يسمعون الاطفال يرددون هذه الاغاريد والاناشيد ان يأخذوا قطعة قماش ويضعوا فيها بعض قطع النقود ثم يلقوها من احدى النوافذ بعد ربطها فيأخذها الاطفال فرحين وهكذا يمر الاطفال على بيوت الحارة ويجمعون لانفسهم بعض النقود ثم يشترون بها حلوى أو غيرها ويتقاسمونها ويأكلونها معا ويواصلون سمرهم إلا ان هذه العادة قد اختفت تقريبا إلا فى النادر.

● رمضان فى الريف اليمنى

اما الحياة فى الريف اليمنى فتختلف نسبيا خلال شهر رمضان عن حياة المدن فالريف زراعى ١٠٠٪ وسكانه لابد ان يتكيفوا مع مقتضيات الحياة حيث يتطلب منهم تنفيذ العديد من الاعمال مثل الحرث او جنى المحاصيل أو تجميع الخضر وادخالها للمدن لبيعها

وهذا يستدعي بذل الجـهد وخاصة من قبل النساء اللواتي يسـتيقظن في وقت مبكر لانجاز مهامهـن في خدمة الارض وجمع الحـشائش «للمـواشي» واحضار المـاء إلى جانب ذلك فـهن يقمن بالتـحضـير للفطور والعشاء عقب الظهر مبـاشرة بينما يقوم الرجال في جولات جماعية إلـى خارج القرى حيث يقضون وقتا للتـسلية بين الاشجار وفي الوديان او في زيارة الاسواق التي تتـوسط مجموعـة من القرى لشراء بعض الحاجيات.

ويحـرص سكان القـرى الذين لم تصل إليـهم الكـهرباء ان تكون اضاءات منازلهم خلال شهر رمضان بمصابيح قوية الضوء والتي يتم تعـبـئتـهـا بمادة «الكيـروسين» ويتـجـمـعـون في المسـاء عند ابرز الشـخـصـيـات في القـريـة والذي يكون لديـه «ديوان» واسع لاستيعابهم» ويتحمل قيمة القات الذي يوزع عليهم.

وعادة ما يتناولون ايضا طعام السحور في بيت هذه الشخصية البارزة امـا الاطفـال فـانهم يفـضلون اللعب في ازقـة القـرية بينمـا النسـاء يتسامـرون في مجموعـات في البيوت ولكن لن يطول هذا التـسامر اكثر من منتصف الليل فيعدن قبل هذا الوقت لتجهيز السحور الذي عاده ما يتناوله سكان الريف بعد منتصف الليل مباشرة.

ويرحب سكان القرى بقدوم شهر رمضان بهتافات تعبر عن الفرحة والابتهاج بهذا الشهر يرددونها قبل رمضان بأيام قليلة وخلال الشهر كما يرددون هتفات الوداع فى الايام الاخيرة منه التى تعبر عن حزنهم لفراق شهر رمضان.

فى
العــراق

اندثرت كثير من معالم شهـر رمضان مع طغيان النمط الحضارى المعـاصر فى البـلاد، وليس هذا حال العـراق وحده، بل هو أمـر مـألوف اليـوم فى الـعـالم الإسـلامى كله، ولعـل من أهم هذه المظاهر أو المعـالـم الدينية المتوارثـة التى تتميـز بها مـدن العراق، تلك التى نراها خاصة عندما يمر الإنسان يوم الجمعة ببغداد مثلاً حيث يرى الحشـود المتـقاطرة جـاءت لتـؤدى الصـلاة بالمسجـد فيضيق بها حتى تمتد صفوف المصلين فتصل دار القاضى ابن تمام على نهر دجلة، كما يسمع الـقرآن الكريم وهو يقرأ قبل الصلاة وأصوات المصلين وهى تكبر فى وقت واحـد قائلة: «الله أكبر.. الله أكبر».

وهذا المنظر لا يتكرر سـوى فى شـهر رمـضان التـماسـاً للبركـة وطلباً للغفران.

وكـمـا كانت بـغداد أكـبـر مـدن العـراق مركـز إشـعـاع للفكر الإسلامى الوضاء منذ أقـدم العصور.. فلازالت على عـهدنا بها حيث مـجالس الأدب والمناظرات فى كل مساجـدها، بل وحيث ينفق المال بسـخـاء على الفـقـراء والمحـتاجـين طوال أيام شـهـر رمضان من الهبات التى يجمـعها الأهالى خاصة لهذه الأغراض السامية.

ولنترك المسـاجد جانباً لنزور المـدينة فى شوارعها ومنازلهـا وقد

زينتها الأنوار وغُلِّقَتْ مطاعمها ومقاهيها حتى مدفع الإفطار، ومن عادات أثرياء العراق وأعيانها أن يفتحوا دورهم للفقراء والمساكين تقام لهم المآدب طوال أيام شهر رمضان.

كما أن هناك عادات إسلامية توارثها أبناء العراق، فهم عادة ما يبدءون إفطارهم بتناول حبات من التمر واللبن سُنَّة عن رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - ثم يتناولون أطعمتهم الأخرى التى تحفل بأنواع اللحوم وما إليها.

وما أن ينتهى الإفطار حتى تحس فرحة تعم كل مكان فى أرجاء العراق تتمثل فى خروج الأطفال إلى الشوارع يغنون ألحاناً بغدادية شعبية، تشبه الموشحات حتى وقت السحور، حيث ينطلق المُسَحِّرون بألحانهم ليوقظوا بها الناس. ومن هذه الألحان ما هو شائع بين الأهالى.. تقول إحدى هذه المقطوعات مثلاً:

مازال برك يزيد
دايم وباسمك شديد
ولا عندما نوالك
فى كل فطر وعيد

وهكذا تمتلىء كل بلاد العراق بالأنغام العذبة فى كل سحور وحتى يؤذن للفجر، حيث ترتفع الحناجر على المآذن معلنة الإمساك عن الطعام وبدء صيام يوم جديد من أيام رمضان.

ولتمضى أيام رمضان ونمضى معها حتى ليلة منتصفها لنرى الاحتفالات التى تظل حتى آخر الشهر، كما نرى حفلاً يتميز عن كل الاحتفالات وهو الاحتفال بليلة القدر، ليلة السابع والعشرين من رمضان.

وكان أهل العراق يُخْرِجون زكاة الفطر فى صبيحة أول أيام عيد الفطر حيث نرى شيخَ كل أسرة عراقية وقد جمع زكاتها ثم يأخذ فى توزيعها على الأسر الفقيرة المجاورة.

● عودة إلى بغداد ..

وبالعودة إلى التراث الإسلامى، تبدو حياة العامة فى بغداد أكثر نصيباً من غيرها فى أحاديث المحدثين وروايات الإخباريين، فقد أفاض هؤلاء فى وصف أحوالها مع حلول رمضان من كل عام، خصوصاً فى تلك العهود الغابرة، ولا غرو، فبغداد تلك الحاضرة العريقة كانت أرست تقاليد عريقة لدى الخاصة والعامة.

ووصف ابن الكازرونى ليالى رمضان البغدادية فقال عنها: «إن ليالى الصيام المشرقة بالمصابيح والمساجد منيرة بالصلوات والتراويح، أما العوام فكانوا ينكبون على الملاذ والغناء والفرح إلى منتهى العشاء.. ثم ترفع قناديل الشحير، وكانت دار الخلافة تضاء بالأنوار ويتعاطى منها التكبير».

«وعصر كل يوم من أيام رمضان، يجتمع أهل بغداد كاجتماعهم فى الأعياد ويخرجون فى دجلة بالطيارات والزبازب والسميريات، كل إنسان بحسب قدرته، ويتنافسون فيما بينهم. وعند قدوم المساء، كانت تشعل النيران والمصابيح الفخمة فى السميريات والزوارق، وعلى كل زورق قبة كبيرة. وبعد الإفطار يخرج أهل بغداد للفرجة، فيسهرون على الشواطىء وتُزيِّن دجلة بإشعال النار، ويُظْهر أصحاب الشأن من الحكام وغيرهم زينتهم ويُحَملون السفَن بأنواع الألعاب المسلية، ومنها المصابيح.. وداخل البيوت البغدادية أو فى حوانيتها الواسعة، وعلى دكك أسواقها وتحت أقبيتها التى كان ينتدى إليها العامة عقب صلاة العصر أو بعد صلاة التراويح، كان الناس يمارسون هوايات مختلفة، يتسلون بها لقضاء أوقات الفراغ، بعد انقطاعهم عن مزاولة الأعمال اليومية المرهقة، واعتزالهم العمل إلا ما كان سهلاً ولا يستدعى مشقة كبيرة».

والكلام عن موائد العامة فى رمضان، حديث يلذ للكثيرين، إذ لازالت روائح الأفاه والأطايب تعبق بعشرات المصنفات التى تحدث عنها المؤرخين والرحالة واصفين مآدب رمضان العامرة وصنوف الأطعمة البغدادية، وتنوع الخبز فى بغداد، فقد عرف البغداديون خبز الأرز وخبز الشعير وخبز الذرة والعدس

والفول. أما خبز الحنطة فكان من أرقى أنواع الخبز ويأخذ أشكالاً مختلفة على المآدب الرمضانية. فهناك الرغيف والجردقة والقرص أو القرصة والرقاق، كما أن هناك خبز التنور وخبز الفرن وخبز الطابق وخبز الملة والبرازيدق والفطير.

وفى مطلع القرن العشرين بدأت بغداد تشتهر بالمقاهى التى أخذت تنتشر فى كل مكان من نواحيها، وقد تحولت فى فترة قصيرة إلى ناود اجتماعية يلتقى فيها الأدباء والشعراء والتجار والموظفون والعّمال من ذوى المهن المختلفة. وكان عدد كبير منهم يتحلق للعب بالنرد، والدومينو، والمنقلة. وهذه اللعبة الأخيرة خاصة بالبغداديين.

وكانت هذه المقاهى ترتدى فى رمضان حلة أخرى، فتكف فى النهار عن الملاهى البسيطة تعففاً، وحرمة لشهر رمضان.. أما فى الليل فيحضر عازف الرباب ليُسَلِّى رواد المقهى فى الأمسيات الرمضانية بأنغامه الشجية، كَما يحضر القصاصون، إذ كانت للقصاص مكانة مرموقة، حيث يُمْتِع الرواد بالقصص والأساطير المسلية. ويعتبر مُلا إبراهيم الموصلى المتوفى سنة ١٣٠٨هجرية. وابنه مُلا خضر المتوفى سنة ١٩٠٢م. من أشهر قصاصى بغداد.

ومن المقاهى التى اشتهرت فى بغداد مقهى السبع ومقهى وهب ومقهى عزاوى. وجميعها فى محلة الميدان قرب باب العظم.

وقد اختص مقهى عزاوى بعرض ألعاب القراقوز طيلة شهر رمضان. وكان يتحول إلى مقهى شعبى، أما مقهى «القراء خانة» وهو مقهى عثمان، فكان يقدم الشاى والقهوة مساءً.. أما فى صباح رمضان، فكان الزبائن يقرأون الصحف التركية الواردة من استانبول.

وقد عرف أيضاً من المقاهى المميزة فى مطلع القرن الماضى مقهى مميز قرب المدرسة المستنصرية. وكان يغنى فيه فى رمضان مطرب المقاهى العراقى المعروف أحمد زيدان. أما مقهى العنبار، فكان رواده من التجار. كذلك فإن مقهى التبانة كان يقدم العروض الهزلية التى تسلى الصائمين.

في الإمارات العربية المتحدة

يبدأ استقبال شهر رمضان المبارك منذ منتصف شهر شعبان.. كما أن المسلمين يؤدون فروض صلاتهم الخمس وصلاة التراويح والتهجد فى أكثر من ألفين ومائتين وستة مساجد موزعة على إمارات أبوظبى، دبى، الشارقة، عجمان، رأس الخيمة والفجيرة، والأسرة تقوم قبل الافطار بساعة تقريباً بتبادل المأكولات المصنوعة فى كل بيت كما تقام موائد الافطار بالقرب من إحدى المساجد ويتولى أحد أصحاب المنازل القريبة من المسجد تجهيز المائدة طوال شهر رمضان المبارك وتكون هذه المائدة على قارعة الطريق حتى يقبل عليها كل مار وعابر سبيل ليتسابقوا عليه في افطاره طلبا للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

وبعد صلاة العشاء والتراويح تبدأ الجلسات العامرة وتفرش الموائد من الساعة العاشرة والنصف وحتى الثانية وذلك بشتى أنواع المأكولات من كل مالذ وطاب من الأطعمة التى تزخر بها المائدة الإماراتية ويتسابق النسوة لاعداد هذه الأطعمة ويضعون جدولاً زمنياً خاصة بين الأسر بحيث يكون كل يوم لدى أسرة من الأسر طوال الشهر.

ومن الأكلات الشعبية التى تحرص عليها الأسر فى الإمارات خاصة خلال شهر رمضان الهريس والقرع والأرز بأنواعه كذا الحلويات مثل العصيد والجنيص.

ورمضـان عند أهل الجير (الجـبال) فى الإمـارات كانوا يحسـبون له باليوم منذ بداية شهر شعبان، فـإذا أتم شهر شعبان ٢٩ يوماً، أسندوا مهمة استطلاع هلال رمضان إلى من يثقون فى رجاحة عقله، ودينه، وقوة إبصـاره، فيـصعد إلى أعلى جـبل فى المنطقة يرقـب الهلال مع غروب الشمس، فـإذا رآه، أطلق عياراً نارياً ليعلن للجمـيع في قريته رؤية هلال رمـضان، وإن لم يره يعـود أدراجه ليكملوا عـدة شعـبان ثلاثين يوماً، وفى كـلا الحالتين يعـود إلى والى أو أمير المنطقـة حيث يجتمع أهل المنطقة يناقشونه حول رؤيته للهلال أو عدم رؤيته، وعند الرؤية يصلون التراويح ليلتها ويعقد الصيام بالإجماع، وعقب صلاة العشـاء يتجـمعون فـى حظيرة الوالى أو كبـير القـرية حيث القـهوة والتمر والفواكة، وقـراءة القرآن الكريـم ثم السوالف إلى آخر الليل، بعدها يذهب كل منهم إلى بيته لتناول سحوره، وينام.

ونهارهم فى قرى الجبال لا يختلف كـثيراً فى الصيف عن الشتاء إلا فى تقليل فـتـرة العمل الذى لا يـتعـدى رعى الغنم وجـمع الحطب وعمل (الصـخام) هو الفـحم الذى كان يباع فـى أسواق أبوظبى أو دبى.

وكان معظم نهـارهم خاصة فى الصيف يقـضونه فى النوم أو الراحة تحت شجـرة غاف أو سـدر، حتى إلى مـا بعد صـلاة العصـر، حيث يعـودون مع أغنامـهم إلى البيـت، فتكون الحـريم قـد أعدت طعـام

الأفطار الذى لا يتعدى التمر والحليب والبلاليط أحياناً، وأهم ما فى ذلك أنه لم يكن أحد من الرجال خاصة، وكذلك الحريم يفطر بمفرده أو مع أسرته، وإنما كان يحمل ماعنده ويذهب إلى حظيرة الوالي أو كبير القرية، وكذلك الحريم، وينتظرون آذان المغرب الذى يتعرفون عليه بالخبرة، وبغروب الشمس، عندها يؤذن المؤذن فيفطرون، ثم يصلون المغرب جماعة، ثم يعودون لتناول طعام العشاء الذى لا يتعدى الخبز المعد من الذرة المنتجة محلياً أو الدخن، والشعير المطحون على الرحى، وقد يكون معه لحم مجفف أو دجاج محلى موجود فى البيت وأحياناً مع السحناه.

ويصلون العشاء والتراويح، ثم يجلسون لقراءة القرآن الكريم والسوالف إلى ما قبل السحور وذلك بشكل دورى، كل يوم فى بيت من البيوت، ويأتى كل منهم بما عنده، وغالباً ما يكون الطعام من الخبز أو الشوب، وهو عبارة عن خبز بحجم متين ومحلى بالسمن الطبيعى والعسل، إضافة إلى التمر والثريد لا يكون إلا عند الأسر المقتدرة، وتستمر الرمسة إلى وقت السحور الذى يتعرفون عليه (بصقعة) الديك، فهو يصيح مرتين، فى المرة الأولى تنبيه لقرب وقت حلول السحور، والثانية بدخول وقت السحور، فيذهب كل منهم إلي بيته لتناول سحوره الذى غالباً ما يكون من الخبز والقهوة والتمر، وبعد السحور ينامون انتظاراً للفجر الذى يبدءون بعده يوماً جديداً.

لقد كانت حياتهم قاسية قديماً، ولكنهم اليوم يمثلون عصب الحياة فى الإمارات خاصة بعد رعاية الدولة لهم رعاية خاصة.

ومن الملفت للنظر فى شهر رمضان قديماً بالإمارات، هو اقدام البعض على الزواج، وعلى الرغم من قلة الزيجات فى هذا الشهر عن غيره من الشهور، إلا أن الاحتفال بهذه الزيجات يأخذ شكلاً تقليدياً، فتقام خيمة أو مشرع، تكون بمثابة المكان المخصص للرجال لإقامة المناظيم أو الأناشيد الدينية التى كان يشرف عليها المطاوعة وهم أئمة المساجد، وكانوا يستخدمون الدفوف أثناء إنشادها ومنها أنشودة يقول مطلعها:

يارب حبيب المصطفى
بلغ مقصدنا
واغفر لنا ما مضى
يا وسيع الكرم

فى
تنزانيا

وفى تنزانيـا.. رمضـان له هيبـة خـاصة لدى المسلمـين هناك.. وهم يستعدون لاستقباله منذ منتصف شهر شعبان، وذلك بتعليق الزينات والكهرباء فى الشوارع وأمام المساجد وعلى المحلات التجارية وتكثر الزيارات وتبادل الهدايا بين العائلات..

ويصوم معظم مسلمى تنزانيـا يومى الاثنين والخميس كل أسبوع من أسابيع شهر شعبان، إلى أن يحل رمـضان فيصوم كل الشعب المسلم فى تنزانيا اعتباراً من الأولاد من عـمر ١٢ سنة حتى الشيوخ.. وعدم صيـام المسلم عندهم فى رمضـان يعتبـر عيبـاً كبـيراً جداً، ويصـفون المفطر بالمُلْحـد، وبالزندقة، وبالكفـر.. ومن أكبر الآثام التـى يعاقب عليـهـا العـرَف والـقـانون هناك أن يتناول المسلـم الطعـام نهـاراً فى الشـوارع والطرقـات حـيث تغلق جـمـيع المطـاعم ــ حـتى مطاعم الفنادق ــ أبوابها خـلال ساعات النهار طول رمـضان، ولا تفتح إلا على صلاة المغرب، حتى أن غير المسلمين يخجلون من تناول الطعام فى نهار شهر رمضان.

ومن المأكولات التى تتواجد على المائدة التنزانية فى رمضان، التمر.. والماء المذاب فـيه السكر وفنجـان القـهوة.. والأرز ومـسـتـخـرجـات الأسماك والخضروات.

فى نيجيريا

عندما يقترب شهر رمضان من كل عام تتحول نيجيريا إلى مظهر احتفالي ضخم لاستقبال رمضان.. حيث يصل عدد المسلمين هناك إلى حوالي ٨٦٪ من سكان نيجيريا.. ومنذ دخل الإسلام هذه البلاد أصبح لقبائلها عادات وتقاليد متوارثة خلال أيام شهر رمضان، فالقبائل النيجيرية المسلمة تحتفل ثلاثة أيام متواصلة قبل بداية شهر رمضان تيمنا بقدومه، كما أنهم ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان ينظرون ناحية الغرب فإذا ثبت رؤية الهلال أصبحوا صائمين.. ومن عاداتهم المتوارثة أنه عندما يبدأ شهر رمضان تغلق جميع المطاعم تماماً وتحول هذا العرف الى شبه قانون يحكم الجميع.. ففى نهار رمضان لا يمكن أن يجد المرء محلاً أو مطعماً مفتوحاً، وبعد الإفطار تبدأ المحال التجارية فى العمل حتى الصباح الباكر حيث تشترى الأسر لوازمها فى هذا الوقت.. وتعود السكان فى نيجيريا سواء فى العاصمة أو المدن أو فى القرى أن يشتروا مفروشات جديدة للمنازل قبيل رمضان بأيام، كل أسرة حسب مقدرتها، فالأسرة القادرة تغير المفروشات فى المنزل احتفالا برمضان والأسر غير القادرة تشترى شيئا بسيطا كرمز للاحتفال بهذا الشهر ويجمع المسلمون الأموال فيما بينهم كل حسب استطاعته لشراء المفروشات الجديدة لجميع المساجد قبل حلول شهر رمضان وتزين المآذن بالزينات الكهربائية متعددة

الأحجام والألوان التى تجعل من المساجد قطعا من النور في ليالى رمضان.

وتتنافس القبائل فى نيجيريا علي الاحتفال بشهر رمضان بالذبائح وحفلات السمر ومن هذه القبائل الجوريا والأمالا والإيباما وتحرص كل قبيلة على جمع ابنائها فى حلقات افطار جماعية فى البيوت والاماكن المفتوحة كما تحرص على اداء صلاة التراويح عشر ركعات لأن المسلمين هناك يتبعون المذهب المالكى.

ومن عادات النيجيريين فى رمضان أن يسهروا حتي الصباح أول يوم فى شهر الصوم حيث تتبع نيجيريا المملكة العربية السعودية في الصوم فعندما يعلن فى السعودية عن رؤية هلال رمضان تعلن الحكومة النيجيرية نفس إعلان السعودية.. وعندما يسمع الأهالى خبر الرؤية يخرج الشباب والأطفال والشيوخ والسيدات فى الشوارع والحدائق ينشدون بعض الأغانى الرمضانية ويرتدون ملابس جديدة خاصة لاستقبال شهر رمضان.. وتبدأ السيدات من اليوم الأول فى إعداد الأكلات الخاصة لشهر الصيام مثل «الكونو» وهو مكون من الذرة والدهن والسكر، كما يتناولون فى السحور نوعا آخر من الأطعمة الرمضانية يسمى «توو» وهو مكون من الذرة ويؤكل مع «الإدام» وهو ما يشبه الصلصة، وهناك أيضا نوع من الحلوى الرمضانية يؤكد بعد الإفطار والسحور ويسمى «تاليه» وهو

أيضا ما يشبه الكنافة إلى حد بعيد».. كما تشترى كل أسرة كميات كبيرة من البرتقال الذى يفضله معظم المسلمين فى نيجيريا ويتناولون كميات كبيرة منه في الإفطاروالسحور بالإضافة إلى الموز الذى ينتشر فى الغابات.

أما بعد الإفطار فترى الناس يخرجون إلى المساجد لتأدية الصلاة، ومن أشهر المساجد هناك مسجد كانو - مسجد سوكاتو - مسجد أي بادن - مسجد ليجوس - مسجد كاصينا ثم مسجد محمدو بللو بكادونا.

ويخرج الأطفال بالملابس الملونة يحملون الفوانيس وتسمى عندهم «تاشير» كما يغنون الأغانى الدينية. ومن المظاهر الرمضانية اللطيفة أن يقوم المسحراتى فى كل قرية بالطواف على المنازل يضرب علي الطبول أو تنفخ الأبواق فهى وسيلة الإيقاظ للسحور وتسمى «جروه» أو «كاهو».. وفى المدن وسيلة الإعلان عن موعد الإفطار والسحور والإمساك هى المدافع.

وبعد مرور ٢٠ يوما من الشهر يبدأ المسلمون الاحتفال بعيد الفطر حيث تعود سكان نيجيريا الاحتفال بعيد الفطر عشرة أيام كاملة قبل مجيئه وتقرر الحكومة إجازة عشرة أيام للعيد تتعطل فيها الأعمال الحكومية لإعطاء الفرصة للشعب للاحتفال بالعيد الذى يشهد تجمع المسلمين فى مسيرات تملأ الشارع أكثر من أسبوع ويرددون الأغانى.

في تركيا

فى تركيا هذه الأيام يعتمد المسلمون رؤية الهلال على ما تطبعه رئاسة الشؤون الدينية عن التقاويم الفلكية، وإن كان بعض المتنورين ـ ممن يحرصون على الاقتداء بالسنة النبوية ـ يلتقطون أخبار ظهور هلال الشهر من الإذاعات العربية، ويتابعون بعض البلاد العربية فى بداية الشهر وإنتهائه، مما يحدث أحيانا أن يبدأ بعض الناس الصوم قبل غيرهم بيوم. وتطلق المدفعية عدة طلقات لإعلان دخول الشهر، فيطوف الصغر بعد المغرب على الدور ويطلبون البشارة، فيعطون الحلوى التى تسمى حلوى رمضان «رمضان شكرى».

وتنشط حركة الأسواق فى هذا الشهر، ويقبل الناس على شراء المؤن للمنزل وما يحل به من أضياف.

ويجتهد أئمة المساجد فى وعظ الناس، وتوعيتهم وتبصيرهم بأمور دينهم، ويلقون قبولاً حسناً من المسلمين، ولازالت باقية عادة قراءة القرآن بالمقابلة فى المساجد، حيث يجتمع فى مسجد الحى حفاظ القرآن بعد السحور وقبيل صلاة الفجر، ويتناوبون قراءة الجزء المقرر عن ظهر قلب. وتمتلئ المساجد بالمصلين الذين يؤدون الصلوات الخمس بها، ويجتهدون فى صلاة التراويح التى تصلى جماعة ـ عشرين ركعة، كل أربع ركعات بتسليمة، ولا تكاد تجد لك مكاناً فى هذه المساجد على ضخمتها ورحابتها، وخاصة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان التى يلتمسون فيها ليلة القدر

وتأخذ برامج الإذاعـة والتلفاز وقـتاً من الناس فى تركيـا، فيتـابعون البرامج الدينـية التى تزداد فى هذا الشهـر، وتكثر من إذاعـة قراءات القرآن، ويمـتد إرسالها إلى قـرب وقت السحور، وتجـرى المقابلات مع العلماء والوعـاظ لتبصيـر الناس. وتغطى المسلسلات التاريخـية حيـزا كبيـراً من خارطة البرامج كـما تهتـم الصحف بنشر مـقالات دينية، وتثقيفية فى صفحات خاصة برمضان.

أطعمة رمضانية

أشـتهـر المطعم التـركى منذ القـدم بإختـلاف ألوان الطعـام، ولذته، وحلاوة مذاق الفاكهة وما يصنع منـها من مشروبات. والمرأة التركية تجتهد فى الإعداد لمائدة إفطار رمضـان من قبل حلول الشهر المبارك، بتخزين المأكولات الموسـمية بتجفيفـيها فى موسمها ليـتم طبخها فى رمضان، وخاصة فى فصل الشـتاء حيث تقل المزروعات لبرودة الجو فى بعض المناطق.

وتنتـهـى مـائدة الإفطار فى الغـــالب بتناول أنواع الحلـوى والفطائر المصنوعـة من السـكر والدقـيق والحليب وغـيـرها، مـثل «رمـضــان طاتليـسى» والبـقـلاوة بأنواعهـا ـ التى يسـرف التـرك فى تناولهـا ـ والكنافـة والقطايف، والمهلبـية والكـولاش الذى هاجر إلى بيـروت ليصبح أحـد معالم رمضـان بها، أو فاكهة الموسم مـن بطيخ وشمام وكرز ومشمش وخوخ وتين وعنب.

وأمـا وجبـة السحـور فهى تخـتلف فى تنوعـها عن مـائدة الإفطار، ويكثـرون من شرب الشـاى فيـه للتغلـب على العطش. وتصنع فى رمضان أنواع خـاصة من الخبز يسـمى «بيدا Pıde» وهو خبز صـغير مسـتدير ينثر عليـه حب السمسم، ويـكون محشـوا باللحم وكذلك يهتمون بأكلة «اللحم بالعجين» وغيرها من المعجنات.

ويكون توديع شهر رمضان أيضا حـافلاً بالدعوات والذكر والإكثار منهما، والذهاب إلى الأسـواق لشراء مستلزمـات العيد من الحلوى والأطعمـة، والملابس الجديدة. وفى صبـاح العيد يخرجـون للصلاة مصطحبين معهم أطفالهم فى ملابسهم الجديدة، وبعد الصلاة يزفون إلى بعضـهم التهانـى بقضاء فـرض الصوم وإستـقبال عـيدهم الذى يسـمونه «شكر بايـرامى» أى عيـد الحلوى، لكثـرة ما يقـدم فيـه من ضروب الحلوى اللذيذة، وتبدو فرحة العيد الكبير والصغير، وتجتمع الأسـر والأقـارب ويتـزاورون. ويذهـب البـعض إلى المنتـزهات والملاهى للتروح فيها.

صورة.. من إسلام بول

كانت إسلامبول ارض الإسلام أو اسطنبول أو استامبول كما ينطقها العـامة من الـناس عاصمـة العالم الإسـلامى إلى أوائل هذا القـرن وكانت تعرف قبل فتحها بالقـسطنطنية وقد راود حلم فتحها العديد من الحكام المسلمين ولكنها استعـصت عليهم وابى محمد الفاتح إلا

أن يفتحها ففتحها فكان هو نعم القائد وجيشه نعم الجيش الذى بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفتحها الذى بشر به الرسول نستطيع ان ندرجه ضمن مادة فى التاريخ الإسلامى نسميها المستقبل فى التاريخ الإسلامى هذا المستقبل حددته أحاديث رسول اله صلى الله عليه وسلم، وقد تحقق منها الكثير.

والإسلام فى اسلامبول نراه بوضوح فى مآذنها الرشيقة التى ترتفع إلى السماء مبشرة بفتتح أوروبا فقد كانت إسلامبول القاعدة التى إنطلق منها الإسلام إلى شرق اوروبا فأسست بها مجتمعات إسلامية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا فى البانيا والبوسنة والهرسك وبلغاريا وغيرها من البلاد.

ولرمضان فى إسلامبول طابع خاص حينما كانت عاصمة للدولة العثمانية، وارتبط هذا الطابع بسلاطين الدولة العثمانية ففى القصر السلطانى وقتئذ كان يقرأ القرآن الكريم ويفسر بحضور السلطان حيث يحضر عشرة من مشاهير المدرسين ومعهم جملة من الطلبة قبيل العصر وبعد صلاة العصر يجلس كل واحد منهم فى مجلسه الخاص ويجلس الجميع على شكل هلال به اريكة السلطان فيشرع الذى عليه الدور فى الدرس من هؤلاء العشرة فيقرأ التفسير ويسأله

الطلبة الحاضرون عما يعن لهم من الأسئلة فى الآية التى يفسرها وهو يجيب وهكذا حتى يختم الدرس.

ثم يتبعه فى اليوم التالى أو الذى بعده على ما تقتضيه الاحوال حتى تتم عدة شهر رمضان فى سماع تلك الدروس، وفى آخر شهر رمضان ينعم السلطان على الاساتذة والطلبة بهبات مالية.

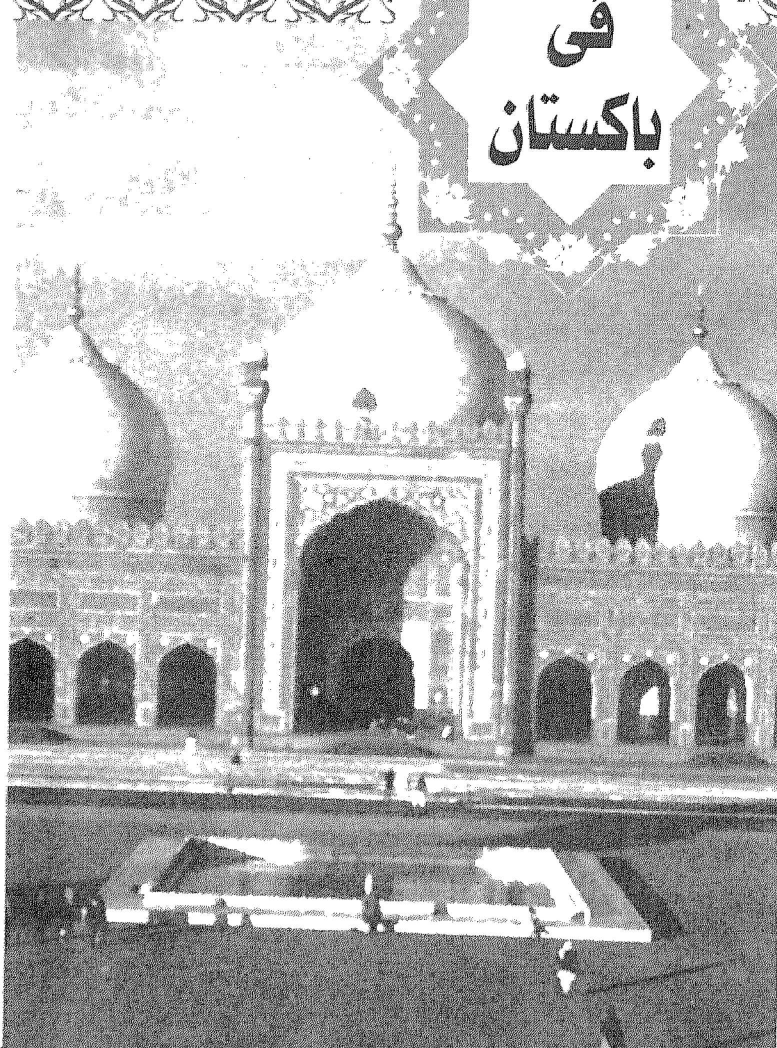
وقد إعتاد أهل إسلامبول على إتخاذ صحن مسجد بايزيد فى رمضان سوقاً تعرض فيه البضائع على إختلافها ويبدأوا بإعداد هذا السوق منذ منتصف شهر شعبان فلا يأتى رمضان إلا والصحن معرض عظيم يحرم على النساء إرتياده.

وتضاء سماء اسلامبول كلها فى رمضان باضاءة تشكل من الكلمات أو الجمل المركبة وكذا ما بين المآذن الموجودة فى كل مسجد بعبارات بخط جميل تقرأ مرحبا رمضان وغيرها من الشعارات الجميلة التى تضفى على المدينة جوا خاص فى ذلك الشهر وإلى وقت قريب كانت مآذن إسلامبول تستعمل هذا الاسلوب فى زخرفتها فى ذلك الشهر إلا أنه بعد حركة اتاتورك تحولت الكتابة من الحروف فى العربية إلى الحروف اللاتينية.

ويحتفل اهل اسلامبول بليلة ٢٧ رمضان احتفالا خاصا يحضره السلطان ويصلى فى المسجد المحمدى التراويح مع اهل المدينة وتضاء المدينة فى تلك الليلة ويكثر فيها الفرح والإبتهاج، وفى جامع

آيا صوفـيا يجتمع الناس فى تلـك الليلة ويقرأون القرآن. وقد أعـتاد اهل المدينة على إرسال الطعام لـبيوت الفقراء بصفـة دائمة أو تبادل الوجـبـات بين الأقــارب وذلك لخلق جــو من التـآلف والـتكافل الاجتماعى فضلا عن قـيام الموسرين من أهل المدينة بالتكفل بكل ما يحتاجه الـيتامى فى عيد الفطر من ملبس ومال حـتى يعوضوهم عن فقدان آبائهم كما نصت حجج الاوقاف. تلك كانت صورة رمضانية لمدينة إسلامية افتقدنهـا فى ظل علمنة تركية ولكن مازال القليل منها من التآلف والتكافل بين أهلها باقياً إلى اليوم.

فى باكستان



مع مقدم شهر رمضان ينشغل الباكستانيون أول ما ينشغلون بإجراءات السفر لعمرة رمضان التى يحرصون عليها حرصاً شديداً الا ان يقعد بهم عنها ضيق ذات اليد. اما الذين يبقون فى باكستان خلال الشهر فيحرصون على الصوم والعبادات فالشعب الباكستانى حريص بصفة عامة على الشعائر التعبدية خاصة الصلوات التى تمتد صفوفها الى خارج المساجد وتغلق لها الطرقات وتقف لها حركة المرور.

وفى نهاية شهر شعبان وبعد صلاة العصر يذهب الناس الى اماكن مرتفعة يغفون فوقها لرؤية هلال شهر رمضان المبارك، وبعد التأكد من رؤيته يذهبون الى الاسواق لشراء لوازم السحور، وبعد تأديتهم لصلاة العشاء يعودون الى منازلهم وينامون وقبل السحور بساعتين يصحو الجميع من نومهم على أصوات قارعى الطبول ومرددى الاهازيج الدينية وعلى اصوات تشبه الاصوات الخاصة التى تصدرها سيارات الاسعاف والاطفاء التى تدور خصيصا لايقاظ النائمين وينصرفون إلى تناول السحور.

وبعد تناول الطعام تتم تأدية صلاة الفجر ثم النوم قليلا، ومن بعد ذلك يستيقظون جميعا وهم صيام فالاطفال يذهبون لمدارسهم والآباء يذهبون إلى أعمالهم

وتنتشر فى باكستان «أسواق الجمعة» حيث يؤمها الناس من مختلف الاحياء لشراء حاجاتهم المختلفة بأسعار منخفضة وينتشر فى

رمضان باعة «البكولة» وهى قطع صغيرة من العجين محشوة بلحم صغير وبصل محمر فى الزيت وتعتبر وجبة رئيسية فى رمضان بجانبها شراب «روح آفزا» وهو يستخرج من النباتات والاعشاب

وتبدأ النساء الباكستانيات فى وقت مبكر من النهار باعداد الطعام للافطار والعشاء، ففى الافطار يتم تناول المشروبات الباردة بالاضافة الى بعض الاطعمة الخفيفة، اما العشاء والذى يتم تناولة بعد أداء صلاة التراويح فيكون دسما ويتميز بكثرة ما يوضع به من البهارات الحارة ويستمر هذا الحال طوال العشرين يوما، أما فى العشرة الاواخر من رمضان فيتغير الوضع، وذلك بان الرجال يتناولون السحور مجتمعين فى المساجد القريبة من منازلهم، وقبل وقت السحور يقرأون القرآن الكريم ويتدارسونه فيما بينهم.

اما فى شهر رمضان فيقوم البعض بتوزيع الحلويات بين الناس ابتهاجا بقدوم العيد، كما ان الاسواق تبقى مفتوحة طوال الاربع والعشرين ساعة، لتلبية طلبات الناس الذين يقبلون عليها لشراء لوازم العيد.

وقبل صلاة العيد يلبس اهالى باكستان ملابسهم الجديدة ويتجهوا الى الساحة الشعبية ليؤدوا صلاة العيد وعند مقابلة الباكستانى فى صلاة العيد لأخية المسلم يحتضنه ويقبله ثلاث مرات على كتفيه ويبداله الاخر هذه القبلات كما يهنئون بعضهم بتبادل الزيارات.

فى أندونيسيا

قصة نشـر الإسلام فى أندونيسيا ذات فـصول عديدة متـتالية تنطوى على صفحات مشرقة من الدأب والجهاد والعمل الشاق وهى سجل حافل يشغل قرونا كثيرة، بدأت منذ القرن الأول للهجرة ولم تنته إلا فى القـرن الثانى عـشر الهـجـرى، وأول شىء يستـرعى الإنتبـاه فى انتشار الإسلام فى تلك البلاد أن هذا الإنتشار تم بطريقة سلمية على أيدى الدعـاة والتـجار لا بطريـق الحرب والغلبـة أن الدعـاة الأوائل الذين قاموا بنشر الإسلام فى أندونيسيا ضاعت أسماؤهم فى ضباب التـاريخ ولابد أنهم كـانوا إناسـا بسطاء ادوا واجـبـهم دون ضـجـة وأفسحوا المكان لآخرين وجدوا التربة ممهده لهم، ومن ابناء الاجيال التالية لهؤلاء تحفظ لنا التواريخ المحلية أسماء لامعة من الدعاة فيهم حكام وقادة عظام ــ من امـثال ملك ابراهيم ورادين رحمـة وسونن كبـرى ورادين فتـاح الذى لعب دورا كبـيرا فى القضـاء على الحكم الهندوكى وغيرهم كثير.

لقد كانت نهاية القرن السابع الهجرى هى العصر الذهبى الذى شهد أنتشـار الدعوة إلى الإسلام والتى إزدهرت خـلال القرنين ٨ و ٩ هـ ومن المثير للدهشة أن وصول البرتغـاليين إلى أندونيسيا اقنع الامراء الأندونيسـيين باعتناق الإسلام لمقـاومة التغلغـل الصليبى الأوروبى. وقد قـام الدعاة المسلمـون الذين عاشوا فى المدن السـاحلية بتـحويل هؤلاء الامـراء إلى الإسلام. إن البـرتغالـيين لم يخفـقوا فى جـذب

الهندوك ضد المسلمين الجاويين فحسب بل قووا مركز المسلمين فى أندونيسيا.

ولرمضان فى هذه البلاد نكهة خاصة متعطرة بطابع الحياة فى جنوب شرق آسيا، يبدأ رمضان فى أندونيسيا بإعلان رؤية هلال رمضان بدق الطبول وتهنئة الناس بعضهم بعض بقدوم الشهر ويتبادل الاقرباء والاصدقاء الزيارة فى تلك الليلة ومن الامور التى تؤلف بين الناس فى أندونيسيا فى رمضان تجمعهم على الإفطار فى المساجد غنيهم وفقيرهم مما يدل على سمو.

فى
الصــين

يقول الحاج داؤد شى كون بين إمام مسجد «ينوجيه» ببكين: ان المسلمين الصينيين خالصون بالدين ومتمسكون بالصوم فى شهر رمضان ومن عاداتنا ان نقوم بتوعية المسلمين بتعاليم القرآن الكريم والحديث النبوى المتعلقة بالصوم ونشرح لهم عن فضائل ومزايا الصوم قبل حلول شهر رمضان المبارك.

ونحدد أول رمضان بإجماع العلماء المسلمين وذلك حسب قول الله تعالى «الشمس والقمر بحسبان» والحديث النبوى «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» وكان ٢٣ فبراير أول رمضان فى الصين هذا العام ــ ١٤١٣هـ ــ وبالإضافة إلى الصلوات الخمس نصلى صلاة التراويح جماعة بعد العشاء وهى عشرون ركعة وبين كل ركعتين من التراويح نقرأ كلمة «يا مقلب القلوب والابصار ويا خالق الليل والنهار» ثلاث مرات وبين كل أربع ركعات نحمد الله تعالى قائلين: «سبحان ذى الملك والكبرياء والجبروت، سبحان الملك الحى الذى لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح» ثلاث مرات ايضا وأما آيات القرآن الكريم التى نقرأها أثناء صلاة التراويح فهى تبدأ من سورة الفيل حتى سورة الناس مرتين وبعد ثمانى عشرة ركعة نقول «لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله

السيد الصادق الأمين» وبعد عشرين ركعة نقرأ «اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار يا مجير ويا أرحم الراحمين» وبعد ذلك نصلى صلاة الوتر جماعة ونقرأ الذكر والدعاء إلى الله تعالى فى النهاية.

ويكمل الحاج داؤد شى كون بين حديثه عن رمضان فى الصين قائلا، ننوى فى وقت الامساك كل يوم بالكلمة التالية : نويت ان اصوم صوم شهر رمضان من الفجر إلى المغرب خالصا لله تعالى» وعند الفطور ندعو الله تعالى قائلين: «اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت فاغفر لى ذنوبى برحمتك يا أرحم الراحمين» وكما انى بودى ان أقدم لكم موجزا حول رمضان فى الصين.. ان المساجد تقوم بواجباتها الدينية، والتى منها مواقيت الافطار والامساك ونشرها بين المسلمين وفى مناطق المسلمين توجد المقاصب والمطابخ الإسلامية وتقدم إلى المسلمين الكعك والحلويات التقليدية واللحوم الطازجة، وعند دخول وقت الفطور يأكل المسلمون الصينيون أولا قليلا من التمر والحلوى ويشربو الشاى بالسكر، وعقب ذلك يتوجهون إلى المساجد القريبة أو يبقون فى البيوت لصلاة المغرب، وبعد الانتهاء يتناولون الفطور مع افراد العائلة.

وتنظم المساجد النشاطات الدينية الأخرى مثل ترتيل القرآن الكريم قبل صلاة التراويح واحيانا يأتينا أحد القراء العرب لترتيل القرآن الكريم فى المساجد، وفى ليلة القدر يتجمع المسلمون فى المساجد لإقامة الاحتفاء بليلة القدر المباركة وإلى جانب ذلك ينهض المسلمون الصينيون فى هذه الليلة لإقامة العباد بقصد تقوية الإيمان بالله تعالى، وأما عيد الفطر فهو يوم البهجة والسرور ويحتفل المسلمون الصينيون فيه احتفالا حارا يتبادلون تهنئة العيد بكل السعادة والبركة.

الفهرس

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٧٩٠٨

الترقيم الدولى: ٨ - ٣٥١ - ٢٣٦ - ٩٧٧ ISBN